الخطب الحسان

في

فضائل شهر شعبان

أعده

د. حسين عامر

الأستاذ المساعد بجامعة مينيسوتا

للدراسات الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الأوقات مواسم للخيرات، واختص بعض الشهور بمزيد من البركات، لتكون محطة للمسلم يتزود فيها من الطاعات.

والصلاة والسلام على خير البرية محمد بن عبد الله، الذي كان رحمة للعالمين، وقدوةً للمهتدين.

في رحاب شهر شعبان، هذا الشهر الكريم الذي يُعد تمهيدًا لشهر رمضان، يقدم هذا الكتاب سلسلة من الخطب التي تسلط الضوء على فضائل هذا الشهر وأحكامه، بهدف توجيه المسلمين إلى استغلال أيامه ولياليه بالطاعات والقربات، والعمل الصالح الذي يرفع مقامهم عند الله عز وجل.

أيها الدعاة إلى الله، لقد جاءت هذه الخطب استجابةً لحاجة الأمة إلى التذكير بما يزخر به هذا الشهر من معانٍ إيمانية ؛ فهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله، كما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: وهو شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.

يحتوي الكتاب على خطب تناولت مواضيع متنوعة، منها:

- أهمية صيام شهر شعبان وفضله.
- دور شعبان في الإعداد الروحي والنفسي لاستقبال رمضان.
- أحكام متعلقة بالصيام ورفع الأعمال.
- بيان خطورة الغفلة عن الطاعات في هذا الشهر.
- إصلاح ذات البين ومغفرة الذنوب في ليلة النصف من شعبان.

تم إعداد هذه الخطب بعناية لتكون مرجعًا للدعاة والخطباء، يستفيدون منها في توجيه الناس وإرشادهم إلى الخير. وقد روعي في صياغتها أن تكون مبنية على النصوص الشرعية الصحيحة، معززة بفوائد تربوية ودروس عملية.

نسأل الله أن يكون هذا الكتاب معينًا لكل مسلم في طريقه إلى الله، ورافدًا يزيد في رصيد أعماله الصالحة، وأن يكتب لنا ولكم الأجر والثواب، ويبلغنا رمضان ونحن على خير حال.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه /د. حسين عامر

الأستاذ المساعد بجامعة مينيسوتا

للدراسات الإسلامية

الخطبة الأولى

الصيام في شعبان

فضائل وأحكام

عناصر الخطبة:

أولا/ سبب التسمية.

ثانيا / الصيام في شعبان.

ثالثا حكم الصيام في آخر شعبان

رابعا/ حديث (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)

الخطبة الأولى

الصيام في شعبان فضائل وأحكام

عناصر الخطبة:

أولا/ سبب التسمية.

ثانيا / الصيام في شعبان.

ثالثا حكم الصيام في آخر شعبان

رابعا/ حديث (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)

أولا/ سبب التسمية

ورد في تسميته بشعبان عدة أقوال أشهرها:

-سمي شعبان بهذا الاسم لتشعب الناس بحثاً عن الكلأ والمرعى بعد قعودهم عن القتال في رجب.
-وقيل بل لتفرقهم وتشعبهم في طلب المياه.
-ذكر بعضهم أن تسميته بشعبان يعود إلى تشعب أغصان الأشجار فيه، حيث كان وقت نمو النباتات وازدهارها.

ثانيا / الصيام في شعبان

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان » رواه البخاري ومسلم

وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شعبان ، وإنما كان يصوم أكثره.

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (ما علمته – تعني النبي صلى الله عليه وسلم – صام شهرا كله إلا رمضان)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، فقال:
(ذاك شهر تغفل الناس عنه ، بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) رواه النسائي

قال ابن رجب رحمه الله : صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم ، وأفضل التطوع ما كان قريب من رمضان قبله وبعده ، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض ، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده ، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

ولعله يشير إلى الحديث الصحيح الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : **(إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال: (يقول ربنا جل وعز : لملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت تامة وإن انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم) رواه أبو داود.**

فقوله (ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم) يشمل النوافل في الصلاة والزكاة والصيام أي أن النوافل جبر للنقص في الفريضة مع ملاحظة أنها ليست بديلا عنها فلا تغني عن الفريضة المكتوبة.

وقوله (شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان – الشهر الحرام (رجب)، وشهر الصيام (رمضان) – اشتغل الناس بهما عنه ، فصار مغفولا عنه ، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام ، وليس كذلك.

وفيه دليل على استحباب عِمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة ، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة ، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكْر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة.

وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها:
-أن يكون أخفى للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل ، لا سيما الصيام فإنه سرّ بين العبد وربه ، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء وكذلك فإن العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس ، ومن أسباب أفضلية الأعمال مشقتها على النفوس لأن العمل إذا كثر المشاركون فيه سهُل ، وإذا كثرت الغفلات شق ذلك على المتيقظين.

وعند مسلم من حديث معقل بن يسار : (العبادة في الهرْج كالهجرة إلي) أي العبادة في زمن الفتنة ؛ لأن الناس يتبعون أهواءهم فيكون المتمسك يقوم بعمل شاق

وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه -صلى الله عليه وسلم – في شعبان على عدة أقوال:

1- أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها.

2- وقيل إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك ، وهذا يوافق ما ورد عن عائشة أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوم.

3- وقيل لأنه شهر يغفل الناس عنه.

وهذا الأخير هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان رواه النسائي.

وكذلك من فوائد صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة ، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط.

وقوله (وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) إشارة إلى أن الأعمال بخواتيمها فلكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يختم السنة الإيمانية بالصيام في شعبان كما ابتدأها بالصيام في رمضان، والصيام خير الأعمال، وأعظمها أجرا، وهذا لا ينفي

فضيلة بقية الأعمال الصالحة من قيام الليل والنوافل والذكر والدعاء .....الخ

ثالثا حكم الصيام في آخر شعبان

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين ، إلا من كان يصوم صوما فليصمه » أخرجه البخاري ومسلم

يفيد هذا الحديث أنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة ، ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلا بآخره.

فإن قال قائل لماذا يُكره الصيام قبل رمضان مباشرة لغير من له عادة سابقة بالصيام ؟

فالجواب أنّ ذلك لمعانٍ منها:

أحدها : لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه ، كما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى ، حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم ، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم . ولهذا نهي عن صيام يوم الشك.

تحريف أهل الكتاب للصيام:

عندما فرض الله عليهم الصيام ثلاثين يوماً وصادف حراً شديداً تضايقوا منه فاجتمع علماؤهم ورؤساؤهم فجعلوه في فصل الربيع بين الشتاء والصيف وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لفعلهم- حسب ظنهم- فصار الصيام عندهم أربعين يوماً، ثم إن ملكاً من ملوكهم اشتكى مرضاً نزل به فنذر لله إن برأ من وجعه أن يزيد في صومه أسبوعاً فبرأ فصار يصومها أي (47) يوماً، فلما توفي أمر الملك الذي جاء بعده بصيام ثلاثة أيام فصارت أيام الصيام (50) يوماً موزعة على أشهر السنة.

ويوم الشك : هو اليوم الذي يشك فيه هل هو من رمضان أم لا ؟ وهو الذي أخبر برؤية هلاله من لم يقبل قوله ، **قال عمار (من صامه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم)**
المعنى الثاني : الفصل بين صيام الفرض والنفل ، فإن جنس الفصل بين

الفرائض والنوافل مشروع ، ولهذا حرم صيام يوم العيد ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام ، فإنه يشرع الفصل بينها وبين الفريضة ، ولهذا يشرع صلاتها بالبيت والاضطجاع بعدها.

وربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل ؛ لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام ، وهذا خطأ وجهل ممن ظنه ، والله تعالى أعلم.

رابعا/ القول في حديث (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)

قال الشافعية: لا يجوز أن يصوم بعد النصف من شعبان إلا لمن كان له عادة ، أو وصله بما قبل النصف.

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين (ص : 412): (باب النهي عن تقدم رمضان بصومٍ بعد نصف شعبان إلا لمن وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الاثنين والخميس) اهـ.

وذهب جمهور العلماء إلى تضعيف حديث النهي عن الصيام بعد نصف شعبان ، وبناءً عليه قالوا : لا يكره الصيام بعد نصف شعبان.

قال الحافظ ابن حجر: وقال جمهور العلماء : يجوز الصوم تطوعا بعد النصف من شعبان وضعفوا الحديث الوارد فيه، وقال أحمد وابن معين إنه منكر اه من فتح الباري .

والخلاصة :أنه يُنهى عن الصيام في النصف الثاني من شعبان إما على سبيل الكراهة أو التحريم ، إلا لمن له عادة بالصيام ، أو وصل الصيام بما قبل النصف.

****

الخطبة الثانية

شعبان

شهر يغفل عنه الناس

عناصر الخطبة:

أولا / استقبال النبي شهر شعبان.

ثانيا/ معنى الغفلة بين رجب ورمضان.

ثالثا/ فضل العبادة في أوقات الغفلة.

رابعا / رفع الأعمال إلى الله.

الخطبة الثانية

شعبان شهر يغفل عنه الناس

إن من رحمة الله بعباده أن يسر لهم مواسم الطاعات والخيرات وجعل لهم في أيام دهرنا نفحات ليتعرض لها العباد ، فها هي قد أظلتنا مواسم المغفرة والطاعات ، وها هي الشهور المباركة تهل علينا ؛ فشهر شعبان يبشرنا قدومه بمقدم شهر رمضان الضيف الكريم الذي ننتظره من العام إلى العام ؛ فهو شهر الصيام والقرآن والرحمات.

عناصر الخطبة:

أولا / استقبال النبي –صلى الله عليه وسلم – شهر شعبان.

ثانيا/ معنى الغفلة بين رجب ورمضان.

ثالثا/ فضل العبادة في أوقات الغفلة.

رابعا / رفع الأعمال إلى الله.

أولا / استقبال النبي –صلى الله عليه وسلم – شهر شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان » رواه البخاري ومسلم

وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شعبان ، وإنما كان يصوم أكثره .

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « ما علمته – تعني النبي صلى الله عليه وسلم – صام شهرا كله إلا رمضان «

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، فقال: (ذاك شهر تغفل الناس عنه ، بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم رواه النسائي .

إذن فصيام شعبان استعدادا لرمضان وتعميرا لأوقات الغفلة بالطاعة والعمل الصالح ، فقد كنا في رمضان الماضي كلنا نشاط وهمة وطاعة ومسارعة بالخيرات ، فلما انتهى رمضان انشغلنا بالدنيا وغفلنا كثيرا عن الطاعة ... وتكاسلنا .... وفرطنا .... فأنعم الله علينا بشهر شعبان لنحسن ختام العمل في نهاية السنة الإيمانية ، وليكون بداية تنشيط الهمم للعمل الصالح استعدادا لشهر رمضان.

ثانيا/ معنى الغفلة بين رجب ورمضان

كان شهر رجب معظما في الجاهلية فهو من الأشهر الحرم التي حرموا القتال فيها؛ وكان يُسمى عندهم رجب الأصم لأنه لا يُنادى فيه بالقتال أو لأنه لا يُسمع فيه صوت السلاح.

وسُمي رجبٌ رجباً لأنه كان يُرجَّب أي يُعظَّم ، وكانوا يعتمرون فيه ويذبحون فيه ذبيحة تسمى العتيرة فجاء الإسلام فأقرهم على كونه من الأشهر الحرم دون تخصيصه بعبادة.

وأما شهر رمضان في الإسلام فيه ما فيه من الفضل.

ومعنى الغفلة في شعبان بأن يترك الناس الاجتهاد والطاعات ويقصرون فيها فيقول القائل ممنياً نفسه : ها هو رمضان قد أوشك على القدوم ، وإن شاء الله في رمضان أعوض ذلك كله ، فيفتح لنفسه باب الأماني قائلا:

سأصوم في رمضان .....سأقيم اليل في رمضان .....سأتلو القرآن ... وهكذا فيقعد عن العمل الصالح في شعبان ويتكاسل عنه ،وذلك التسويف والتأجيل من أماني النفس البشرية التي تحب الكسل والنوم في العسل، وتكره العمل ، حتى يأتي رمضان وهو ضعيف الهمة مستثقلا العمل الصالح فيقول: ما زلنا في أول أسبوع سأنشط بعد أيام ....سأجتهد في النصف الثاني ....لا لا في العشر الأواخر .....سأحرص على حضور ليلة القدر في أحد المساجد ....وهكذا حتى ينتهي رمضان وقد ضيع الكثير والكثير.

فعلينا أن نجدد النية ونقوم برفع اللياقة الإيمانية في شعبان استعدادا لرمضان إن شاء الله ، والله تعالى تكفل لمن أقبل على طاعته بأن يوفقه ويعينه ويسدده كما في الحديث القدسي **(من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ومن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة).**

وهذا الحديث الصحيح يدل على عظيم فضل الله عز وجل، وأنه بالخير إلى عباده أجود، فهو أسرع إليهم بالخير والكرم والجود منهم في أعمالهم، ومسارعتهم إلى الخير والعمل الصالح، فالله سبحانه وتعالى ما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك، وما أمرك أن تتوب إلا ليتوب عليك، فلولا توفيق الله لهلك العبد ، والشيطان دوما يوسوس لنا ليقعدنا عن العمل الصالح ، فتتعلل بضعف بدنك وقلة وقتك وكثرة مشاغلك وأسفارك وعملك ومالك وولدك ، فتضعف حينئذ عن العمل الصالح ، وخير طريق لذلك الاستعانة بالله في مجاهدة النفس ومغالبة وساوس الشيطان بالاستعاذة بالله منه فهو وحده الموفق والمعين.

ثالثا/ فضل العبادة في أوقات الغفلة

1- الفوز بمحبة الله : فالله يحب من ينتبهون لأوقات الغفلة فيتقربون إلى الله بالعمل الصالح ، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة ، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكْر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة .
2- أنه أخفى للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل.
3- العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس ، لأن العمل إذا كثر المشاركون فيه سهُل ، وإذا كثرت الغفلات شق ذلك على المتيقظين ، وعادة بعض الناس في زماننا الإعراض والانشغال عن الطاعة والعمل الصالح والملل منها والضيق بها وكأن أثقل شيء على نفوسهم هو الإقبال على الله ، فالسعي للدنيا يجعلهم يهرولون عليها ويسارعون ويتنافسون عليها ، أما إن كان السعي لله وجدت العلل والأعذار الواهية ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم) صححه الألباني**

والمعنى : أن من عمل عملا كان الصحابة يعملون مثله ينال عليه أجرا مضاعفا خمسين ضعفا عما كان يناله الصحابة، والسبب في هذا أن الصحابة كانوا يجدون على الخير أعوانا، وهؤلاء لا يجدون على الخير أعوانا كما ورد في بعض روايات الحديث الأخرى.

فزاد أجرهم بزيادة مشقة هذه الأعمال على نفوسهم ، وليس المقصود أنه أفضل من الصحابة ؛وإنما المقصود أن العمل الواحد يوازن ذلك ؛أما مجموع عمل الصحابي فلا يحصل أحد بعدهم درجتهم وشرف صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

وعند مسلم من حديث معقل بن يسار : (العبادة في الهرْج كالهجرة إلي) أي العبادة في زمن الفتنة ؛ لأن الناس يتبعون أهواءهم فيكون المتمسك بدين الله كالقابض على الجمر.

رابعا / رفع الأعمال إلى الله

كما جاء في الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال :قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الإعمال فيه إلى رب العالمين، فأحِبُّ أن يرفع عملي وأنا صائم أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

ورفع الأعمال إلى الله تعالى مع كونه صائماً أدعى إلى القبول عند الله تعالى ؛ فلكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يختم السنة الإيمانية بالصيام في شعبان كما ابتدأها بالصيام في رمضان ، والصيام خير الأعمال ، وأعظمها أجرا.

وهذا لا ينفي فضيلة بقية الأعمال الصالحة من قيام الليل والنوافل والذكر والدعاء .....الخ؛ إنما الصيام من خير الطاعات التي تختم بها الأعمال.

****

الخطبة الثالثة
خمسة أعمال
لا تتركها في شعبان

عناصر الخطبة:

أولا/ محاسبة النفس.

ثانيا/ الإكثار من الصيام في شعبان.

ثالثا /إصلاح ذات البين.

رابعا/ رفع اللياقة الإيمانية.

خامسا/ النية الصالحة قبل رمضان

الخطبة الثالثة

خمسة أعمال لا تتركها في شعبان

من عظيم نِعَمِ المولى سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين الطائعين أنْ هيَّأ لهم أسباب الفوز بمرضاته، والتزود من الخير والأعمال الصالحة؛ وذلك من خلال مواسم تكثر فيها الخيرات والبركات، ويزداد العبد فيها قربًا ودرجات؛ ومن هذه المواسم التي ينتظرها المؤمن ويهتم بها شهر شعبان؛ فهو شهر رفع الأعمال إلى رب العالمين، وهو شهر الاستعداد لرمضان.

عناصر الخطبة:

هناك خمسة أمور ينبغي ألا نغفل عنها في شعبان:

أولا/ محاسبة النفس.

ثانيا/ الإكثار من الصيام في شعبان.

ثالثا /إصلاح ذات البين.

رابعا/ رفع اللياقة الإيمانية.

خامسا/ النية الصالحة قبل رمضان

أولا/ محاسبة النفس

أخبرنا رسول الله أن الأعمال ترفع إلى الله تعالى رفعا يوميا وأسبوعيا وسنويا، وأن الرفع السنوي في شهر شعبان؛ وهو رفع أعمال السنة كلها؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين)**؛ إذن فشعبان هو شهر نهاية السنة الإيمانية فنحتاج في خاتمة العام أن نحاسب أنفسنا ، فالأيام تمر والأشهر تجري وراءها تسحب معها السنين، وتجر خلفها الأعمار، وتنقضي الآجال، وبعدها يقف الجميع بين يدي الملك الجليل، للسؤال عن الكثير والقليل.

وصدق القائل:

إنَّا لَنَفرح بالأيام نقطعُهـــا *** وكُلُّ يومٍ مضـى يُدْنِي مِن الأجَلِ
فاعمَلْ لِنَفْسِكَ قبل الموت مُجتهداً *** فإنما الربحُ والخسرانُ في العمَـلِ

نعم كل يوم يمر بنا يباعد عن الدنيا ويقرب إلى الآخرة، يباعد من دار العمل ويقرب من دار الجزاء.

ففي نهاية السنة الإيمانية وددت لو توقفنا وقفة عظة وعبرة ؛ فكم من حبيب فيه فارقنا! وكم من اختبار وبلاء فيه واجهنا! وكم من سيئات فيه اجترحنا! وكم من عزيز أمسى فيه ذليلاً! وكم من غني أضحى فيه فقيراً! وكم من حوادثَ عِظامٍ مرت بنا! ولكن أين المعتبرون المبصرون؟

وتعاقب الشهور والأعوام على العبد، قد يكون نعمة له أو نقمة عليه، فطول العمر ليس نعمة بحد ذاته، فإذا طال عمر العبد ولم يعمره بالخير فإنما هو يستكثر من حجج الله تعالى عليه.

أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي بكرة –رضي الله تعالى عنه- أنه قال: قال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: (خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله)

ويقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه: ما ندمتُ على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

وقال عمر بن الخطاب : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر على الله

فهل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟ وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك كما تعد حسناتك؟

اللهم اغفر لنا الذنوب، واستر لنا العيوب، وفرج عنا الكروب، وتقبل منا صالح الأعمال، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثانيا/ الإكثار من الصيام في شعبان

ومن آكد هذه الأعمال أيضًا : الإكثار من الصيام؛ فإن الإكثار من الصيام في شهر شعبان سُنَّة مؤكدة **كما جاء في الحديث عن أسامة بن زيد -رضي**

الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الإعمال فيه إلى رب العالمين، فأحِبُّ أن يرفع عملي وأنا صائم) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يُفطِر، ويُفطِر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان).

ورفع الأعمال إلى الله تعالى مع كونه صائماً أدعى إلى القبول عند الله تعالى ؛ فلكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يختم السنة الإيمانية بالصيام في شعبان كما ابتدأها بالصيام في رمضان ، والصيام خير الأعمال ، وأعظمها أجرا، وهذا لا ينفي فضيلة بقية الأعمال الصالحة من قيام الليل والنوافل والذكر والدعاء .....الخ

ولماذا خص الصيام؟

- لأن الصيام يُوقِظ الجوارح من غفلتها، فتكون في أحسن حال وأكملها عند رفع الأعمال.
-ولأنه عبادة مستمرة، ووقته ممتد بخلاف العبادات الأخرى، فإذا حدث الرفع في أي وقت، يكون متلبسًا بعبادة الصيام؛ ولذلك لم يقل: وأنا أقرأ القرآن أو أصلى أو أذكر؛ وإنما خص الصيام.
-ولأن عبادة الصيام تستدعي معها بقية العبادات؛ فتجد أن الصائم يستيقظ للسحور، ويدرك وقت السحر، وصلاة الفجر، وغيرها من أبواب الخير.

ومما يحثنا على الإكثار من الصيام في شعبان:

- أنه من أفضل الأعمال التي تتضاعف فيها الأجور والحسنات.
- وما من يوم يصومه العبد إلا وزادت فرصة نجاته من النار.
-والصوم في شعبان هو بمثابة السُنَّة القبليَّة لشهر رمضان؛ فإن الله تعالى جعل لكل فريضة نافلة قبلية وبعدية.
- والإكثار من الصيام دليل وبرهان عملي على محبة الله تعالى.
-كذلك فرصة قضاء الفوائت من شهر رمضان الماضي.
-وكذلك من أهم الثمرات المرجوة أن يكون خير استعداد للصيام في شهر رمضان؛ فتدخل فيه بنشاط وقوة وتتلذذ بالصيام؛ لأنك قد اعتدت عليه مبكرًا، ولعلنا نرى ونشاهد أحوال الناس أول أيام رمضان ممن لم

يصوموا قبل رمضان.

إذن فصيام شعبان استعدادا لرمضان وتعميرا لأوقات الغفلة بالطاعة والعمل الصالح ، فقد كنا في رمضان الماضي كلنا نشاط وهمة وطاعة ومسارعة بالخيرات ، فلما انتهى رمضان انشغلنا بالدنيا وغفلنا كثيرا عن الطاعة وتكاسلنا وفرطنا؛ فأنعم الله علينا بشهر شعبان لنحسن ختام العمل في نهاية السنة الإيمانية ، وليكون بداية تنشيط الهمم للعمل الصالح استعدادا لشهر رمضان.

ثالثا /إصلاح ذات البين

وشعبان فرصة لإصلاح ذات البين لكل متشاحنين أو متخاصمين من أجل الدنيا، روى ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى لَيطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن).

فنسعى للإصلاح بين كل متخاصمين، وهذا من أحب الأعمال إلى الله ؛ **فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من الصلاة والصيام والصدقة ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال إصلاح ذات البين (العداوة والبغضاء)، وإفساد ذات البين هي الحالقة) رواه أبو داود.**

فإذا غفر الله تعالى للعبد في شهر شعبان ظهرت آثار هذه المغفرة عليه، وهو يستقبل شهر رمضان بصفحة بيضاءَ، وفي أحسن الأحوال؛ فيزداد فيه من الاجتهاد بالطاعات والعبادات، وتحصيل أسباب المغفرة والرحمات بإذن الله تعالى.

ما السر في استثناء المشرك والمشاحن من المغفرة؟

في هذا الحديث بيان عموم مغفرة الله تعالى لجميع الخلق إلا من استثني، **وهم صنفان: مشرك، ومشاحن.**

فأما المشرك: فهو الذي عبد غير الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، فمن أشرك بالله استحق العقوبة وهي: عدم المغفرة، والخلود في النار، كما قال تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} [المائدة72]

من هو المشاحن؟

الشحناء العداوة، والتشاحن تفاعل منه. والشحن : عداوة تملأ القلب، فالمشاحن هو :المخاصم، والمقاطع، **وقد جاء في الحديث:(دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به؟، أفشوا السلام بينكم) [رواه الترمذي].**

فالوصف المشترك بين الشرك والشحناء أن كليهما يحلق الدين ويفسده، والفرق أن الشرك يبطل الدين فلا يبقي منه شيئا، أما الشحناء فتهتكه وتتركه بلا روح، وإن لم تجتث أصله.

وذلك أن مبنى العبادات في الإسلام على الاجتماع، كالصلاة في جماعة، وفريضة الحج لا تكون إلا باجتماع، والصيام الفرض في وقت واحد في شهر واحد للجميع، والزكاة فريضة اجتماعية.... وهكذا.

فكل الشعائر شرعت جماعية، لم يخص بها فرد دون آخر، وكلها تؤدى جماعة بأوقات متحدة، وبأحكام واحدة، فلا بد إذن في إيقاعها والقيام بها من اجتماع، وأساسه التآلف والمحبة، فإذا انتفى التآلف تضررت تلك العبادات، بعضها بالنقصان والخلل، وبعضها بالزوال والترك.

فلا تجد المتباغضين يجتمعون للصلاة في صف واحد، جنبا إلى جنب؟
ولا تجد المتباغضين يعطف بعضهم على بعض بصدقة أو إحسان؟
ولا تجد المتباغضين يجتمعون على دعوة أو أمر بمعروف ونهي عن منكر ؟

فالشرك مفسد لعلاقة الإنسان بربه، والشحناء مفسدة لعلاقته بإخوانه المؤمنين، وإذا فسدت علاقته بربه وبإخوانه لم يبق له من دينه شيء، فكيف يغفر الله له؟

وإذا فسدت علاقته بإخوانه هتك دينه وأضرّ به، لذا حرم فضل تلك الليلة المباركة.
سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فأجاب: (كلُّ مخمومِ القلبِ، صدوقِ اللسانِ»، قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُهُ، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: «هو النقيُّ التقيُّ، لا إثمَ عليهِ، ولا بغيَ، ولا غلَّ، ولا حسدَ) صححه الألباني.

فالشحناء والخصومات تجعل القلب مشغولا بغير الله مشغول بردّات الفعل وماذا قلت وماذا قال وهو كذا وأنا...

الحياة قصيرة والعمر أقصر يا إخواني فماذا إذا قضينا هذه الحياة في مشاحنات وخصومات وقطيعة ومؤامرات؟ وهو قال وأنا قلت وهم دبروا وأنا أكيد لهم وأنا سأنتقم وهم ماذا بعد؟ بماذا فزت أصلا؟

فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فلا تضيع عمرك في مشاحنات وخصومات ثم حرمان من رضوان الله تعالى وحرمان من عفو الله ومغفرته وضعف في الإقبال على الله.

القلب المغلول الحسود الذي فيه غيرة وفيه حقد هل سيقبل على الله؟
هل سيخشع في صلاة؟
هل سيجد همة وعزما أنه يفتح المصحف ويقرأ؟
أو يذكر الله؟
كلا فهو دائما على باله كيف ينتقم؟
على باله ماذا قالوا عنه؟ ماذا سيرد عليهم؟
ماذا سيفعل؟
فهو يعمل من أجل حظ النفس والمشاحنات وهذه الأمور التي تجري.

ولذلك يا إخواني دائما يتعلم المسلم أن يتجاوز ويعلو على هذه الأمور فلا يستهلك صحته ووقته وجهده في كل هذه الأشياء التي تضيع العمر وتمرض القلب.

رابعا/ رفع اللياقة الإيمانية

في الرياضة عندما يكون هناك مباراة مهمة يقومون بعمل معسكر مغلق للاعبين ، لماذا؟ حتى يقوموا بالتمارين اللازمة ويركزوا في مباراتهم الهامة.

نفس الحال بالنسبة لرمضان أنا سنة كاملة لم أصم لما ابدأ الصيام اثنين وخميس أصوم وأفطر فأتعود على الصيام حينا بعد حين ... فإذا دخل رمضان لا أجد صعوبة في أول أيام رمضان لا صداع ولا تعب ولا خمول.

ومن أعمال شعبان أيضًا المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها والإكثار من النوافل، وقيام الليل ولو بركعتين.

ومن الأعمال أيضًا قراءة القرآن الكريم :فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه

يصف لنا حال المسلمين في شهر شعبان بقوله: (كان المسلمون إذا دخل شعبان أكبُّوا على المصاحف فقرأوها)
ويقول سلمة بن كهيل رحمه الله: كان يُقال: شهر شعبان شهر القراء.

ومن الأعمال أيضًا الذكر : نروي القلوب، وري القلوب بذكر الله... القلوب يا إخواني يصيبها العطش كما يعطش الزرع تماما!!!

قلوبنا ظمأى أحد عشر شهرا قلوبنا ظمأى متعبة مستنزفة مستهلكة نحتاج إلى مداواتها بذكر الله بالاستغفار بالتسبيح حتى نعيد لها الري والنضارة، والطهارة ، فإذا جاء رمضان جاءنا ونحن على خير، وقد أصقلت القلوب بعد الصدأ، اللهم طهر قلوبنا.

فالذكر ري للقلوب الذكر تطمئن به القلوب الذكر يعيد إلى القلوب النضارة ويعيد إليها البهجة ويعيد إليها السعادة **قال تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)**[الزمر:22]

(فويل للقاسية قلوبهم): الذين لا يخطر ببالهم ذكر الله، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله -نسأل الله عافيته- فهؤلاء الذين نسوا الله نسوا أن الله الخالق وهو الرازق وأن مردنا جميعا إلى الله فبغفلتهم عن الله صاروا في هذا التيه وهذا النسيان الذي وقعوا فيه -نسأل الله عافيته-

ومنها التوبة إلى الله تعالى:فهي واجب الوقت، بل واجب العمر كله، وقد أمرنا الله تعالى بها في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ **[التحريم: 8]، وقال تعالى:** ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ **[النور: 31].**
وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها).

فما أحسن حال العبد وهو يستقبل هذا الموسم بعهد جديد وصورة جديدة وبتوبة صادقة نصوح لله -عز وجل-لأنه يريد أن يفتح صفحة جديدة مع الله تعالى؛ فلا بد أن يسبق ذلك تخلية قبل التحلية؛ فيتخلى من الذنوب والمعاصي، وذلك بالتوبة إلى الله تعالى، ثم يكون بإذن الله أهلًا لكي يتحلى بالتقوى والإقبال عليه بالطاعات والقربات.

نسأل الله العظيم أن يوفقنا للتوبة والعمل الصالح، وأن يبلغنا شهر رمضان ونحن في صحة وعافية.

خامسا/ النية الصالحة قبل رمضان

فنية المرء أبلغ من عمله، وهذا ليس بحديث، لكنه من كلام العلماء والمعنى صحيح بمعنى أنا الآن بيني وبين رمضان ثلاثة أسابيع جدد النية لله.

لما تسأل شخصا ماذا ستفعل في رمضان؟
يقول: والله سأصوم مثل الناس، يا أخي هذا هو الفرض التنافس فيما زاد على الفرض لأنه واجب لن يختلف فيه اثنان.

ما الجديد؟ إذا قلت لك أنت كمسلم ماذا تفعل؟
تقول أنا والله نطقت الشهادتين هذا هو شرط الإسلام ... هذا أمر وجب على الجميع استوى فيه الجميع بعد الشهادتين فماذا ستفعل في رمضان سأصوم- إن شاء الله- هذا أمر لا مجال للنقاش فيه يعني هذا فرض ماذا بعد الصيام؟
ما هي أوجه الربح والفوز الذي ستتعرض له في رمضان؟
إذا كان رمضان عبارة عن صيام وتصلي العشاء على السرير وتنام!!! فما الفرق بين رمضان وسائر الشهور؟

ثلاثون يوما وليلة يا إخواني سنتعرض فيها لرحمات الله لفضل الله.
والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: **(ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)** كل ليلة فيها فوز كل ليلة فيها سعادة كل ليلة فيها رضوان.

إخواني ما قولكم في رجل مر بثلاثين يوما وليلة يتعرض فيها لمغفرة وعتق من النار وفوز بالجنة ولا يربح شيئا من ذلك؟

هذا من الخاسرين والعياذ بالله، وهذا معنى دعاء جبريل وتأمين النبي ﷺ عليه
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ.) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وفي رواية: (أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال :آمين، آمين، آمين، فقال الصحابة: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين؟ فقال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يُغفر له

فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين) رواه ابن حبانَ في صحيحه.

هذا خائب خاسر والعياذ بالله، مر عليه شهر بأكمله ولم يفز بمغفرة الله خاب وخسر- نسأل الله العافية-

فنية المرء ابلغ من عمله، فنجدد النية لله من الآن ، ونريد إن شاء الله أن تعود المساجد فتمتلئ بفضل الله، ونتنافس فيه على الخيرات ونتسابق فيه إلى مرضات الله ....

فإذا حصل عارض أو كان هناك مانع -عافاكم الله – واحد مرض أو سافر لم يستطع الصلاة بالمسجد ظروفه حياته عمله الى اخره نقول له يكتب لك الأجر كاملا.

فلنري الله تعالى من أنفسنا خيرا ، وقد بدأ العد التنازلي لشهر رمضان فنهيئ قلوبنا ونهيئ أنفسنا لاستقبال الضيف الكريم ونري الله تعالى من أنفسنا خيرا.

اسأل الله العظيم الكريم جل وعلا أن يجعلنا هداة مهتدين.
لا ضالين ولا مضلين.

****

الخطبة الرابعة

شعبان

شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله

عناصر الخطبة:

أولا/ شعبان شهر رفع الأعمال.

ثانيا/ الرفع اليومي للأعمال.

ثالثا/ الرفع الأسبوعي للأعمال.

رابعا / الرفع السنوي للأعمال.

خامسا/ كتبة هذه التقارير ملائكة حفظة.

سادسا /باب التوبة مفتوح.

الخطبة الرابعة

شعبان شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله

ها قد مضى شهر رجب ، وأهلَّ علينا شهر مبارك، شهرٌ أحبَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأكثر من الصيام فيه ، شهرٌ تُرفَع فيه أعمالُنا إلى الله. وهذا الشهر كان الصالحون يستعدون فيه، ويتسابقون فيه على طاعة الله، وكانَ يراجِع فيه العاصون أنفسَهم؛ ليتوبَ الله عليهم، شهرٌ قال عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ذاك شهرٌ يغفُل الناسُ عنه بين رجب ورمضان**».. إنَّه شهر شعبان المعظَّم.

عناصر الخطبة:

أولا شعبان شهر رفع الأعمال.

ثانيا/ الرفع اليومي للأعمال.

ثالثا/ الرفع الأسبوعي للأعمال.

رابعا / الرفع السنوي للأعمال.

خامسا/ كتبة هذه التقارير ملائكة حفظة.

سادسا /باب التوبة مفتوح

أولا شعبان شهر رفع الأعمال

تقول أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وهي تحدِّثُنا عن حال النبيِّ صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان: (ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استكملَ صيام شهر قطُّ إلا شهر رمضان، وما رأيتُه في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان.) رواه البخاري ومسلم

وعن أسامة بن زيد، قَال: قُلتُ: يا رسول الله، لمْ أرَكَ تصوم شهْرًا من الشهور ما تصوم مِنْ شعْبان. قال: (ذلك شهْرٌ يغْفُل الناس عنْه بيْن رجب ورمضان، وهو شهْرٌ تُرْفَع فيه الأعْمال إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أنْ يرْفعَ عملي وأنا صائمٌ) رواه الترمذي والنسائي

فينبغي علينا الاجتهاد في شعبان حتى لا نكتب فيه من الغافلين فرجب

من الأشهر المحرمة، ورمضان من الشهور المعظمة، ولذا ترى الناس يجتهدون فيهما، فإذا ما جاء شعبان ترك الناس العبادة، وفتح الشيطان لهم باب التسويف، فيُحدِّث أحدهما نفسه فيقول: سأجتهد في رمضان، وسأفعل... وسأفعل....فيفتح لهم الشيطان باب التمنِّي والأمل، حتى يقعدهم عن العمل في شعبان، ويَدْخُلُ عليهم رمضان وهم خائبون، وينصرف عنهم وهم خاسرون، ويُمنِّيهم الشيطان أنهم في العام القادم سيُعوِّضون.

والعمل وقت الغفلة محبوبٌ لله تعالى، لذا حثَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستحب النبي صلى الله عليه وسلم القيام وسط الليل وقت غفلة الناس ؛ **فقد أخرج الترمذي أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: (إن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن)**

فهذا الوقت هو وقت نوم الناس وغفلتهم، فإذا قام المؤمن لرب العالمين ليفوز بجنة النعيم، فلا يستوي هو ومن آثر الوسادة على العبادة، وكما قيل :من أراد الراحة، تَرَكَ الراحة

ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد عن أبى ذر رضي الله عنه (ثلاثة يحبهم الله: رجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم، فمنعوه فتخلف رجل منهم بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به، فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه وثبت حتى أُهْرِيقَ دمه أو فُتح له) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" وصححه الألباني في "صحيح الجامع

يتملقني :يتضرع إليَّ بالثناء والدعاء.

ومعنى الحديث:أن هؤلاء القوم كان النوم لهم لا يعادله شيء فهو أحب شيء إليهم في هذا الوقت فناموا، لكن قام أحدهم حال تعبه، وحال كون النوم أحب إليه مما سواه، قام يدعو ربه ويتلو آياته ويتضرع إليه، فهذا هو نعيمه الذي لا يغنى، وقرة عينيه التي لا تنقضي، وهي سعادته العظمى وغايته المنشودة.
ففي هذا الشهر الذي يغفل فيه الناس، عليك أخي الكريم أن تكون أنت المقبل حال فرار الناس، والمتصدق حال بخلهم وإحجامهم وحرصهم... وأن تكون القائم حال نومهم وغفلتهم... وتكون الذاكر لله تعالى حين إعراضهم، فإن هذا سبب لمحبة الله تعالى لك.

ثانيا/ الرفع اليومي للأعمال.

وإتماما للفائدة ينبغي أن نعلم أن رفع الأعمال إلى الله على ثلاثة أنواع-:

النوع الأول:أن تُرفع الأعمال على الله تعالى رفعاً عاماً كل يوم

كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم -وهو أعلم بهم-؟ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهو يُصلُّون)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : فيه : أَنَّ الأَعْمَال تُرْفَع آخِرَ النَّهَار، فَمَنْ كَانَ حِينَئِذٍ فِي طَاعَة بُورِكَ فِي رِزْقه وَفِي عَمَله ، وَاَللَّه أَعْلَم ، وَيَتَرَتَّب عَلَيْهِ حِكْمَة الأَمْر بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا وَالاهْتِمَام بِهِمَا – يعني صلاتي الصبح والعصر.

وأخرج الإمام مسلم عن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع الله عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه)

وقوله : (يخفض القسط ويرفعه) القسط هو الميزان؛ لما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: **(وبيده الميزان يخفض ويرفع)**

وسمى قسطا لأن القسط العدل، وبالميزان يقع العدل، والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة.

وقوله : (**يرفع الله عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل**) أي يُرفَع إليه عملُ النهار في أول الليل الذي بعده، وعملُ الليل في أول النهار الذي بعده؛ فإن الحَفَظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل؛ ففي هذين الوقتين تُرفَع التقارير اليومية آخرَ كل يوم وليلة، فعملُ النهار يُرفَع في آخره، وعملُ الليل يُرفَع في آخره، وهكذا، وهذا الرفع يُطلَق عليه الرفع الخاص؛ أي: خاص بعمل الأيام والليالي.

ثالثا/ الرفع الأسبوعي للأعمال.

النوع الثاني: رفع الأعمال إلى الله تعالى يوم الاثنين والخميس:

أخرج الإمام أحمد في مسنده:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له)أي سُئل عن ذلك :(قال: إن الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس فيُغْفَر لكل مسلم ـ أو لكل مؤمن ـ إلا المتهاجرين، فيقول أَخِّرهما)

وعند الترمذي بلفظ: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعْرض عملي وأنا صائم)

وروى النسائي وأحمد واللفظ له عن أسامة بن زيد قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الأيام يسرد حتى يقال: لا يفطر، ويفطر الأيام حتى لا يكاد أن يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كانا في صيامه وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله، إنك تصوم لا تكاد أن تفطر، وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما. قال: إي يومين؟
قال: قلت: يوم الاثنين ويوم الخميس، قال: ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم قال: قلت: ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)

ولا تعارض بين رفع الأعمال في يومي الاثنين والخميس ورفعها في شعبان،

قال ابن القيم -رحمه الله- في تعليقه على سنن أبي داود: (رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى: فإن عمل العام يرفع في شعبان كما أخبر به الصادق المصدوق، أنه ترفع فيه الأعمال فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. ويعرض عمل الأسبوع يوم الاثنين والخميس -كما ثبت ذلك في صحيح مسلم- وعمل اليوم يرفع في آخره قبل الليل، وعمل الليل في آخره قبل النهار، فهذا الرفع في اليوم والليلة أخص من الرفع العام، وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله، وطويت صحيفة العمل .

رابعا / الرفع السنوي للأعمال.

النوع الثالث:هو رفع الأعمال إلى الله تعالى في شعبان:
كما جاء في الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال :قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الإعمال فيه إلى رب العالمين، فأحِبُّ أن يرفع عملي وأنا صائم أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني .

ورفع الأعمال إلى الله تعالى مع كونه صائماً أدعى إلى القبول عند الله تعالى ـ كما مرّ بنا ـ

خامسا/ كتبة هذه التقارير ملائكة حفظة

هذه التقارير اليومية والشهرية والسنوية ليست كتقارير البشر، بل هي تقارير تختلف عنها في أمور عدة، منها:

1- أن كتاب هذه التقارير مهرة في الكتابة والإحصاء، فيكتبون القول والفعل والزمان والمكان؛ **قال تعالى: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: 18]. وقال: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ [الكهف: 49].**

2- أن كتبة هذه التقارير أمناء، فلا يحابون ولا يجاملون؛ **﴿ كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾ [الانفطار: 11- 12]، ﴿ ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم: 6].** 3

3- - **كيفية إحصاء الملائكة للأعمال:** وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل الله وكرمه: أن العبد إذا هم بحسنة فعملها تكتب له عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بها ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وبالعكس السيئة: فإن العبد إذا هم بها فعملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإن هم بها ولم يعملها كتب له حسنة كاملة.

ومصداق هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: **(قال الله: إن الله كتب الحسنات**

والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) رواه البخاري ومسلم.

4- وهذه التقارير تكتب في سجلات كبيرة، ثم تنشر يوم البعث والنشور: ﴿ **وإذا الصحف نشرت** ﴾ **[التكوير: 10]**، ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ **[الإسراء: 13- 14].**

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله – تعالى – شيء) رواه الترمذي، والنسائي، وحسنه الألباني.

5- أن هذه التقارير يبنى عليها المستقبل الحقيقي للشخص، فإن كانت تقارير إيجابية، سعد صاحبها في الدنيا والآخرة، وإن كانت سلبية، فلا يلومن إلا نفسه!

ومصداق ذلك **ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – وفيه: قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (فينادى عليهم يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت) رواه البخاري ومسلم**

6- أن الذي يطلع على هذه التقارير ليس وزيرا، ولا رئيسا، ولا ملكا؛ إنما هو ملك الملوك – جل في علاه -: ﴿ **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا** ﴾ **[الكهف: 48].**

وقد جاء في حديث ابن عمر قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (يدنى المؤمن من ربه – وقال هشام: يدنو المؤمن – حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون – أو الكفار – فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود: 18]) رواه البخاري ومسلم .

سادسا /باب التوبة مفتوح

ومع أن هذه التقارير تكتب وترفع إلى رب العباد، إلا أنه – تبارك وتعالى – تواب يحب التوابين؛ ولذلك فقد جعل للتوبة بابا مفتوحا إلى أن تطلع الشمس من مغربها؛ **كما جاء في حديث عن أبي موسى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله – عز وجل – يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم .**

وهذا من كرمه – عز وجل – أنه يقبل التوبة حتى وإن تأخرت، فإذا أذنب الإنسان ذنبا في النهار، فإن الله – تعالى – يقبل توبته ولو تاب في الليل، وإذا أذنب وتاب في النهار، فإن الله – تعالى – يقبل توبته، بل إنه – تعالى – يبسط يده حتى يتلقى هذه التوبة التي تصدر من عبده المؤمن فإذا تاب العباد توبة صادقة، تاب الله عليهم، وبدل السيئات حسنات، كما أخبر بذلك **في قوله: ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ [الفرقان: 70].**

والآن بعد معرفة أوقات رفع الأعمال فأوصيك أخي وأوصي نفسي بهذه الكلمات:

- احرص أن تقدم العمل الطيب فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا
- اقرن عملك بالإخلاص فأعمالك بدونه تكون هباء منثورًا، ولن تجني منها سوى التعب.
- ليكن لك خبيئة لا تراها الأعين ولا تسمعها الآذان ولا تلتقطها العدسات.
- احذر الشحناء فإنها تمنع قبول الأعمال كما سبق بيانه في الحديث.

- داوم على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة ليُكتب لك أجرها ولعل الله يختم لك عليها.
- أكثر من الدعاء أن يتقبل الله منك وأكثر من الاستغفار .

قال بكر المزني رحمه الله: «إنَّ أعمال بني آدم ترفع، فإذا رفعت صحيفة فيها استغفار رُفعت بيضاء، وإذا رفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء.

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وتقبل طاعاتنا.
اللهم اجعلنا من التوابين الذين بدلت سيئاتهم حسنات
برحمتك يا أرحم الراحمين.

****

الخطبة الخامسة

تحويل القبلة وتميز الأمة الإسلامية

عناصر الخطبة:

أولا/ جمع النبي بين القبلتين بمكة.

ثانيا/ وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

ثالثا/ الأمة الإسلامية أمة التميز والريادة

رابعا/ وللمسجد الأقصى مكانته

الخطبة الخامسة

تحويل القبلة وتميز الأمة الإسلامية

عناصر الخطبة:

أولا/ جمع النبي بين القبلتين بمكة.

ثانيا/ وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

ثالثا/ الأمة الإسلامية أمة التميز والريادة

رابعا/ وللمسجد الأقصى مكانته

أولا/ جمع النبي بين القبلتين بمكة

كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أول الأمر يتوجه في صلاته إلى بيت المقدس ، وكان في مكة يجمع بين الأمرين ، فكان يصلى بين الركنين : بين الحجر الأسود والركن اليماني ، فتكون الكعبة أمامه ويكون أيضاً بيت المقدس أمامه.

ولكنه تعذر عليه ذلك حينما هاجر إلى المدينة ، فكان يتمنى من قلبه أن يوجه إلى قبلة أبيه إبراهيم ، وكان–عليه الصلاة والسلام- ينظر إلى السماء دون أن ينطق لسانه بشيء ، حتى هيأ الله له ما أحب ورضى ، وكان ذلك بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا من الهجرة، في شهر شعبان 2هـ على أرجح الروايات؛ حيث صدر الأمر الإلهي الكريم باتجاه المسلمين في صلاتهم إلى المسجد الحرام.

ونزل في ذلك **قوله تعالى : {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ....} البقرة: من الآية 144.**

وفي الحديث عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار ، وأنه صلى

قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا- كما هم – قبل البيت)

ولا يلزم من قوله : (استداروا) و (مالوا) في الأحاديث السابقة : أن يكون هناك شق للصفوف من قبل الإمام ، بل يحتمل أن ما حصل هو مجرد استدارة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (ووقع بيان كيفية التحول في حديث ثويلة بنت أسلم عند ابن أبي حاتم ، وقد ذكرت بعضه قريبا وقالت فيه : (فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام ، قلت : وتصويره أن الإمام تحول من مكانه في مقدم المسجد إلى مؤخر المسجد ؛ لأن من استقبل الكعبة استدبر بيت المقدس، وهو لو دار كما هو في مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف ، ولما تحول الإمام تحولت الرجال حتى صاروا خلفه ، وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال ، وهذا يستدعي عملا كثيرا في الصلاة ، فيحتمل أن يكون ذلك وقع قبل تحريم العمل الكثير ، كما كان قبل تحريم الكلام ، ويحتمل أن يكون اغتفر العمل المذكور من أجل المصلحة المذكورة ، أو لم تتوال الخطى عند التحويل بل وقعت مفرقة ، والله أعلم . انتهى من فتح الباري (1/506 – 507)

ثانيا/ وكذلك جعلناكم أمة وسطا

لقد كان هذا التحويل اختبارا لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعرفة لمدى استجابتهم لأمر الله تصديقا **لقول الله تعالى : {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم}[البقرة: 143]**

وفي هذه الآية الكريمة وما بعدها: بيان شرف النبي صلى الله عليه وسلم، وشرف أمته ، وفيها بيان فضل الله عز وجل على هذه الأمة ، حيث أرسل إليهم أشرف رسول، وأنزل عليهم أفضل كتاب، وهداهم إلى أحسن قبلة،

وجعلهم شهداء على الناس أي على الأمم كلها، وجعل الرسول عليهم شهيدا.

والمعنى: كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القِبَل وأفضلها، جعلناكم أمة وسطا أي عدولا أخيارا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال: لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك، فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليهم شهيدا ، فذلك قوله جل ذكره: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

ثم بين الله عز وجل شيئا من حكمته في جعل القبلة أولا إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك وجعل القبلة الكعبة المشرفة، فقال عز وجل**(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)** أي جعل الأمر كذلك ابتلاء واختبارا، حتى يظهر من يسلم لأمر الله عز وجل ونهيه، ومن يظهر شكه واضطرابه.

ثم قال تعالى: **(وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم)** أي ولقد كان تحويل القبلة أمرا شاقا على النفوس، إلا على الذين هدى الله، وذلك بتسليم الأمر لله عز وجل، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

عن البراء رضي الله عنه قال: وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم.

فبين عز وجل أنه من رحمته بعباده المؤمنين لا يضيع أعمالهم، فكيف يظن الناس أن صلاتهم إلى بيت المقدس بطلت!!!!
فقال تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم)

ثم قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) في هذه الآية حسن أدب من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث إنه تمنى أن يصلي إلى الكعبة ولكنه لم يسأل الله تعالى ذلك،

بل انتظر حتى جاءه أمر الله تعالى بالصلاة إلى الكعبة.

وما أعظم استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لأمر الله فلم ينتظروا حتى يتموا صلاتهم وإنما تحولوا في الحال حيث أراد الله لهم.

وهكذا شأن المسلم الصادق يدور مع أمر الله حيث دار، وحيثما اتجه فوجهته نحو الله: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ **[البقرة: 115]**

ثالثا/ الأمة الإسلامية أمة التميز والريادة

فما الصفات اللازمة للأمة الرائدة؟ وما المعاني التي ربى الله عليها الأمة في حادث تحويل القبلة؟

المعنى الأول : الأمة الرائدة تحتاج إلى التجرد التام لله عز وجل

تجرد من الأهواء والشهوات، ومطالب النفس وحب الدنيا، لا بيت ولا ولد ولا زوجة ولا مال ولا وظيفة ولا كرسي (كل ذلك) ، لا قيمةَ له أمام مراد الله فيصير المسلم عبدًا يُقدِّم حكم الله على ما يحب، فالمتجرد لله يدور مع أمر الله حيث دار، وليس له رأى مع حكم الله، ولا قدسية عنده لمكان أو شخص أو جهة ما لم يقدسه الله عز وجل، وخلع كل شيء من القلب إلا الله فلا يتعلق القلب إلا بالله، قال تعالى: **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)** [التوبة: 24]

كان العرب يُعظمون البيت الحرام في الجاهلية فأراد الله لهم أن يتجهوا إلى المسجد الأقصى تاركين بيت الله ليكون سبحانه هو العظيم المستحق ذلك فلا نخضع لعظيمٍ سواه، والبيت بيته وعظمته مستمدة من الله.

ولهذا كان تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام، ؛ ليخلص الصحابة من رواسب الجاهلية، ومن تعظيم البيت على أنه أثر أبيهم إسماعيل، ورمز لمجدهم القومي، وفخرهم القبلي؛ لتخلص القلوب لله وحده لا شريك له.

المعنى الثاني : تحتاج الأمة الرائدة إلى أن تكون مستسلمة لله في كل شيء فهي لا تملك إزاء أمر الله إلا التسليم المطلق والطاعة المتناهية، وهذا ما نجح فيه المسلمون الأوائل، فقد صلوا الصلاة الواحدة إلى قبلتين عندما سمعوا الأمر بالتحويل أثناء الصلاة، على اختلاف الأماكن والأزمان.

وقد ورد ذلك في عدة أحاديث منها **حديث ابن عمر: بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أُنزل عليه الليلة، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة. رواه البخاري ومسلم**

المعنى الثالث: – إمامة الأمة ووراثة الأمانة
فالإسلام هو الدين الخاتم وهو الدين الوسط **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]**

فأمتنا أمة وسطًا بكل معاني الوسطية سواء من الوساطة (الحسن) أو (الاعتدال) أو (القصد)، أمة تتبع الفطرة السليمة في التفكير والشعور، في التنظيم والتنسيق، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا تدعها للتشريع والتأديب، ولكن ترفع الضمائر البشرية بالتوجيه والتهذيب، أمة وسطًا في العلاقات والارتباطات لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ولا شخصية الجماعة أو الدولة، وإنما تطلق من النوازع والخصائص ما يُحقق شخصية الفرد وكيانه، وكذلك الدولة والجماعة.

المعنى الرابع تحتاج الأمة الرائدة إلى التدريب على مواجهة المغرضين
فالأمة التي تحمل رسالة عظيمة كالإسلام، ومهمة ثقيلة كالتبليغ، معرضة للابتلاء بهؤلاء المغرضين.

وقد ابتلى المؤمنون في هذا الحادث أشد البلاء، فقد شن اليهود والمنافقون والمشركون عليهم حملة إعلامية بشعة، استخدموا فيها كل أساليب الخداع والتمويه وقلب الحقائق؛ لتشويه معالم الإسلام في نفوس الصحابة، والتشكيك في المنهج والقيادة على السواء.

-أما حديث اليهود فكان: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ وقالوا: لقد ترك محمد قبلة الأنبياء قبله!!!
-وقال مشركو العرب: توجَّه إلى قبلتنا ويوشك أن ينقلب بكليته إلى ديننا.

-وقال المنافقون: إن كانت القبلة التي توجه إليها أولاً هي الحق فقد ترك الحق، وإن كانت القبلة التي توجه إليها ثانيًا هي الحق فقد كان على الباطل قبل ذلك، وقد سمَّاهم الله سفهاء وأنزل فيهم قرآنًا- بل أنزله قبل أن يقولوا وهذا من الإعجاز الغيبي للقرآن ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [البقرة:142]**

-وهذا هو حال السفهاء في كل زمان ومكان مع المؤمنين، كما فعلوا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وفضح الله حالهم نراهم في زمننا كثيرين يسخرون من كل شيء يدلُّ على عظمةِ الإسلام والمسلمين وانتصاراتهم في أي مجال، ولكن رغم ذلك فالمدُّ الإسلامي، وانتشاره وإقبال الناس عليه يجعلنا متفائلين.

فالأمة الرائدة بحاجة إلى التدرب على مواجهة المغرضين ، وحسن التعامل معهم بصبر جميل وحكمة.

المعنى الرابع: تحتاج الأمة الرائدة إلى التميز والاستقلال

وأن تكون متبوعة لا تابعة؛ لأن التبعية تشعر بالحقارة والدونية، فلا تستطيع الأمة التابعة أن تقود أو ترشد، فلابد للأمة من الاستقلال والتميز في كل شيء، في العقائد والتشريعات، والأخلاق والمعاملات؛ ولهذا أراد الله لأمة الإسلام أن تكون متميزة عن غيرها من الأمم في قبلتها، فلا تتبع قبلة أحد من الأمم السابقة؛ لأنها الأمة الشاهدة **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا).**

وقد حرص الرسول على أن يغرس في الأمة روح التميز والاستقلال؛ فنهاها عن التشبه بغيرها حتى في أبسط الأمور وأقلها.

المعنى الخامس التميز في الوحدة

يجب أن تكون وحدتنا في الله ولله تحت راية واحدة وهدف واحد ووسيلة واحدة ومنطلق واحد، ونظام واحد.

وهنا نتساءل أما آن للأمة الإسلامية أن تسارع في استجابتها لربها، وأن تولى وجهها نحو خالقها دون سواه، بأن تخلص لربها وشرعه، وأن تتجرد لعقيدتها، وتتخلع مما سواها من العصبيات البغيضة والقوميات المفرقة والأجناس المتنازعة لتصير كما أراد الله لها أمة واحدة: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً**

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92.]
وجدير بأمتنا الإسلامية التي لها رب واحد ، ورسول واحد – صلى الله عليه وسلم – ، وكتاب واحد هو القرآن الكريم ، وقبلة واحدة ، أن تكون على قلب رجل واحد.

رابعا/ وللمسجد الأقصى مكانته
إن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة يشتمل على درس مهم وهو الصلة الوثيقة بين المسجدين الشريفين ، حيث ربط الله سبحانه وتعالى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

قال تعالى في الآية الأولى التي افتتحت بها سورة الإسراء: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)**[الإسراء: 1] وذلك حتى لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين، ولا يفرط في واحد منهما لأنه تفريط في الآخر.

****

الخطبة السادسة

الوسطية

في الإسلام

عناصر الخطبة:

أولا/ الوسطية في الإسلام.

ثانيا/ وسطية الإسلام في العقيدة.

ثالثا/ وسطية الإسلام في العقل.

رابعا/ وسطية الإسلام في التشريع .

خامسا/ وسطية الإسلام في العبادات والشعائر.

سادسا/ خطورة المبالغة في الترغيب والترهيب .

سابعا/ وسطية الإسلام في الأخلاق.

ثامنا/ وسطية الإسلام بين الدنيا والآخرة .

الخطبة السادسة

الوسطية في الإسلام

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)

عناصر الخطبة:

أولا/ الوسطية في الإسلام.

ثانيا/ وسطية الإسلام في العقيدة.

ثالثا/ وسطية الإسلام في العقل.

رابعا/ وسطية الإسلام في التشريع .

خامسا/ وسطية الإسلام في العبادات والشعائر.

سادسا/ خطورة المبالغة في الترغيب والترهيب .

سابعا/ وسطية الإسلام في الأخلاق.

ثامنا/ وسطية الإسلام بين الدنيا والآخرة .

أولا/ الوسطية في الإسلام.

معنى مصطلح الوسطية

مصطلح الوسطية : مأخوذ من الوسط بمعنى: العدل أو الخيار، ويقال: فلان أوسط قومه وواسطتهم: أي خيارهم.

إذن الوسطية تعني: الموقف المعتدل بين طرفين ، فلا تميل إلى طرف دون آخر وإنما تقف الموقف الذي يقتضيه الميزان القسط ، ولا تسمح بطغيان طرف على آخر ، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير ، وكما قيل : الوسط فضيلة بين رذيلتين ، وقد قيل أيضا : خير الأمور أوسطها .

والوسطية من أبرز خصائص الإسلام، ، ويعبر عنها أيضا بالتوازن، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحي والعقل، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها.

ومعنى التوازن بينها: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي حقه بالقسط بلا غلو ولا تقصير.

كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: **(والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) [الرحمن: 55]**

والإنسان عاجز برؤيته المحدودة عن إحداث نظام متوازن لعقله المحدود، وعلمه القاصر؛ ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه بشر فرد أو جماعة من الإفراط أو التفريط، كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ.

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود ماديا كان أو معنويا حقه بحساب وميزان، هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة وعلما.

ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله، وفي أمر الله جميعا، فهو صاحب الخلق والأمر، فظاهرة التوازن، تبدو فيما أمر الله به، وشرعه من الهدى ودين الحق، أي: في نظام الإسلام ومنهجه للحياة، كما تبدو في هذا الكون الذي أبدعته يد الله فأتقنت فيه كل شيء.

وقد جاء وصف الأمة في القرآن بالوسطية صريحا في قوله تعالى : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا [البقرة:143].**

ومعنى الآية : وكما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطا، والوسط الخيار أو العدل، قال المفسرون: الوسط هو العدل الخيار وهذه الأمة ولله الحمد عدول، وخيار؛ كما شهد الله لها بذلك لأن هذه الأمة ستشهد على

الأمم يوم القيامة والشاهد يشترط فيه أن يكون عدلا فهذه الأمة تحملت هذه الشهادة لما من الله عليها به من بعثة هذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدعى نوح يقوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله-جل ذكره-: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.) صحيح البخاري

وعندما نستعرض سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد فيها خاصية الوسطية واضحة جلية ، فانظر مثلا :

1- ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للنفر الذين أرادوا إلزام أنفسهم أن يصوموا فلا يفطروا ، وأن يقوموا فلا يناموا ، وألا ينكحوا النساء؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:**جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.)** رواه البخاري.

وفي هذا تأكيد على خط الاعتدال الذي هو سمة هذا الدين في مواجهة من أرادوا أن يختاروا طرفا واحدا على حساب الطرف الآخر ، فردهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى حد الاعتدال وهو الوسط بين الطرفين.

2- مثال ثانٍ ولنتأمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : **(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر.) صحيح مسلم.**

إن هذا الدعاء يكشف عن توازن عجيب بين الدين والدنيا ، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة، ولا الآخرة على حساب الدنيا، ونجد

مصداق هذا في دعاء القرآن ، في قوله تعالى : **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** [البقرة:201]

فلا تطرف ولا إفراط ولا تفريط ، إنما هو وسطية واعتدال .

3- مثال ثالث: كذلك نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم : **(إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)**[رواه الإمام أحمد]

يشبه المتشدد في العبادة بذلك المسافر الذي أرهق دابته من أمرها عسرا ، وتجاوز حد الاعتدال في سوقها فكانت النتيجة أن نفقت (هلكت وماتت) دابته في الطريق ولم يصل إلى غايته ، وهذا شأن المتشدد في عبادته المتجاوز فيها حد الاعتدال فلا هو الذي أرضى ربه ، ولا هو الذي أبقى على نفسه ، شأن المنبت أي المنقطع في الطريق ، ولا يخفى ما في هذا التشبيه النبوي من دعوة إلى الوسطية والاعتدال .

أهمية الوسطية

الإسلام في أيامنا هذه أحوج ما يكون إلى من يحسن عرضه على الناس والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجوهر ذلك الاعتدال في الخطاب ، والحرص على كسب العقول والقلوب ؛ وذلك لا يتأتى إلا بالابتعاد عن الغلو والتفريط .

إن إبراز خصائص الإسلام وعلى رأسها الوسطية ، أمر في غاية الأهمية ونحن نرى أعداءه يرمونه بما ليس فيه من تطرف وإرهاب وإقصاء للآخرين وبث للكراهية والتعصب ، ومما يؤسف له أن نفرا ممن ينتسبون لهذا الدين يساعدونهم في ذلك من خلال إساءتهم لتطبيق الإسلام تطبيقا بعيدا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يسيئون إلى هذا الدين من خلال عرضه عرضا سيئا كما أشرنا آنفا .

إن الإسلام جاء ليرفع عن الناس الإصر والأغلال ، ويضمن لهم حياة طيبة ملؤها السعادة والاستقرار ، فكتابه الكريم يقول : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ونبيه صلوات الله وسلامه عليه هو الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وفقهاؤه العباقرة هم الذين استنبطوا القواعد الفقهية التي تضمن سعادة الناس واستقرارهم من خلال استقرائهم لنصوص الشريعة وأحكامها ، فقالوا :

-المشقة تجلب التيسير

- ولا ضرر ولا ضرار

- والضرورات تبيح المحظورات

- ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ... إلخ من مظاهر الوسطية في الإسلام.

وإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية.

ثانيا/ وسطية الإسلام في العقيدة

إن المتأمل لمنظومة العقائد الإسلامية يجد أنها وسط بين من يتبعون الخرافة والأسطورة مهملين العقل والدليل مصدقين بكل شيء يصل إليهم تقليدا وإتباعا أعمى ، وبين الماديين الذين ينكرون كل شيء وراء الحس ولا يأبهون أيضا بنداء الفطرة والأشواق الروحية.

إن الإسلام يقيم عقائده على براهين مقنعة وأدلة ساطعة ، فمثلا .. يقول الله تعالى : **(ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه) [المؤمنون: آية 117]**

نجد في هذه الآية أن القرآن إمعانا منه في التأكيد على أهمية الدليل والبرهان يطالب به على قضايا قد ثبت فسادها وبطلانها ، فمن المعلوم أنه لا برهان على وجود إله آخر مع الله إنما هي دعوى لا تستند إلى أساس.

والإسلام وسط في عقيدته بين من لا يرون إلا هذا العالم المحسوس وينكرون ما وراءه من غيب، وبين أولئك الذين يعتبرون أن هذا العالم وهم لا حقيقة له، ويقيمون عقيدته على أن هذا العالم حقيقة إلا أن هناك حقيقة أكبر منه، فهو يصل من الكون إلى المكون، ومن الخلق إلى الخالق.

وفي ذلك يقول القرآن : (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) [لقمان: 11]، ويقول أيضا : (فتبارك الله أحسن الخالقين)[المؤمنون: 14)

والإسلام أيضا وسط بين من يؤمنون بالعقل وحده مصدرا للمعرفة ومن ينكرون قيمة العقل ويقولون بالإلهام أو الأوهام ، إذ أن الإسلام يقف موقفا مميزا في الربط بين العقل والوحي ، فهو يعتبر أن بينهما علاقة كعلاقة

البصر بالنور ، فالبصر يغدو عديم الفائدة في غياب النور ، كما أن النور لا جدوى منه إذا سار في ضوء أشعته أعمى ، فالعقل بصر والوحي نور وهي كما نرى عقيدة وسط بين هؤلاء وأولئك .

ثالثا/ وسطية الإسلام في العقل

كذلك الإسلام وسط بين الغلاة في العقل الذين جعلوه مصدر المعارف والحقائق في الوجود وما وراء الوجود، وبين الجفاة الذين تنكروا له وانزلقوا وتعلقوا بالإلهامات، وعمت أبصارهم.

فمع الأسف جمع الماديون بين التعلق بالمادة، والتعلق بالعقل، فما أوصلتهم إليه عقولهم قبلوه، وما لم تقبله عقولهم ردوه، كما أنه يقابلهم طرف آخر أفرطوا، فألغوا عقولهم بالكلية، فتعلقوا بالأوهام، وتعلقوا بالخرافات، فالإسلام وسط من ذلك، فهناك أمور غيبية لا يدركها العقل فيسلم بها بضوابطها، وأمور معقولات، وقد جعل الله عز وجل لنا عقولا، وجعلها هي محطة التكليف. إذا نحن أهل الإسلام ديننا دين وسط في ذلك، فالعقل له منزلته، بل العقل هو محطة تكليف، وفي المقابل نحن لا نغلو بحيث ما لم تصدقه عقولنا لا نقبله؛ لأننا نعلم أن العقل محدود، كما أن طاقاتنا كلها محدودة، فقوة اليد، والبصر، والسمع كلها محدودة، كذلك قوة العقل محدودة، لكنها قوة نعترف بها في حدودها.

رابعا/ وسطية الإسلام في التشريع

والإسلام وسط كذلك في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي . فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم ، وكثرت فيها المحرمات ، مما حرمه إسرائيل (يعقوب)على نفسه ، ومما حرمه الله على اليهود ، جزاء بغيهم وظلمهم كما قال الله تعالى : **(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) [سورة النساء :160، 161]**

وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة ، حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة ، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يرسل لينقض ناموس التوراة ، بل ليكمله ؛ ومع هذا أعلن رجال المسيحية أن كل شيء طاهر للطاهرين !

فالإسلام قد أحل وحرم ، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر ،

بل من حق الله وحده ، ولم يحرم إلا الخبيث الضار ، كما لم يحل إلا الطيب النافع .

ولهذا كان من أوصاف الرسول عند أهل الكتاب أنه : **(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) [الأعراف : 157]**

والتشريع الإسلامي وسط في شؤون الأسرة ، كما هو وسط في شئونه كلها ؛ وسط يبن الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد ، وبين الذين رفضوه وأنكروه ولو اقتضته المصلحة وفرضته الضرورة والحاجة .

فقد شرع الإسلام هذا الزواج بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق ، والثقة بالعدل بين الزوجتين ، فإن خاف ألا يعدل ، لزمه الاقتصاد على واحدة . كما قال الله تعالى : **(فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) [النساء : 3]**

وهو وسط في الطلاق بين الذين حرموا الطلاق ، لأي سبب كان ، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى الجحيم لا يطاق ، كالكاثوليك ، وقريب منهم الذين حرموه إلا لعلة الزنا والخيانة الزوجية كالأرثوذوكس .

وبين الذين أرخوا العنان في أمر الطلاق ، فلم يقيدوه بقيد ، أو شرط ، فمن طلب الطلاق من امرأة أو رجل كان أمره بيده ، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب ، وأصبح هذا الميثاق الغليظ أوهي من بيت العنكبوت .

إنما شرع الإسلام الطلاق ، عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى ، ولا يجدي تحكيم ولا إصلاح .

ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله ، ويستطيع المطلق مرة ومرة أن يراجع مطلقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد . كما قال تعالى : (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) [البقرة : 229]

خامسا/ وسطية الإسلام في العبادات والشعائر

الإسلام وسط في عباداته، وشعائره بين الأديان، بين شطحات الرهبان وأصحاب الرياضات الذين يعذبون الأجساد ويميتون الحياة من جهة، وبين الماديين من إباحيين وشيوعيين ورأسماليين الذين يلغون الروح ويعبدون الشهوات ويتجاهلون الآخرة.

فالتكاليف في حدود الاستطاعة، لم يكلفنا الله عز وجل إلا في حدود قدرتنا **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) [البقرة:286]**

في الصلوات، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في سائر المطلوبات الشرعية؛ بل الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف منهم موقفا شديدا، وقد سبق الحديث.

وعن ابن عباس قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه.) رواه البخاري

فهذا يدل على سماحة ويسر الشريعة. إذا هو وسط في التكاليف، بل -في التكاليف- إذا طرأ عليك ظرف خفف الله عليك، فإذا جاء ظرف سواء أكان شاقا أو في الأسباب التي قررها الشرع كالسفر مثلا، قد لا يكون شاقا، لكن لو حصل ظرف شاق فإنه يأتي التخفيف. فإذا التكاليف وسط، ولهذا المداومة على العبادة تكون في حدود ما تطيق **{عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا }، {وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه، وإن قل }**

ولهذا ابن الجوزي رحمه الله يعلق على قضية المداومة، فيقول: إنما أحب الله الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية، ثم نسيها، وإن كان من قبل حفظها لا يتعين عليه.

ثانيهما: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتا كمن لازم يوما كاملا، ثم انقطع.

سادسا/ خطورة المبالغة في الترغيب والترهيب

ومن الوسطية أن نتبع خير الهدي وأفضله هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عنى بعض الوعاظ بذكر بعض الأمثلة في الترغيب والترهيب على سبيل المبالغة بروايات أغلبها غير صحيح وإن صح فهو مخالف لخير الهدي وأفضله وأتمه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك :

1- الأثر المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لو أن إحدى قدمي في

الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله : فمع أنه أثر مشهور متداول، إلا أني لم أقف عليه مسندا لا بسند صحيح ولا ضعيف ، وهو يتنافى مع ما ورد **عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)**

فلا يتصور مؤمن أبدا أن عبدا من عباد الله وضع أحد قدميه في الجنة ثم يقول له الله ارجع فلن تدخلها !!!

2-كان عمر بعد أن ولي الخلافة لا ينام نهارا ولا ليلا فقيل له في ذلك فقال (إذا نمت نهارا ضيعت رعيتي وإذا نمت ليلا ضيعت نفسي فجعلت النهار لرعيتي وجعلت الليل لربي) وهذا كله كذب ومن المبالغات التي لا تصح فكيف لعمر أن يخالف هدي رسول الله الذي قال (وأقوم وأرقد) وهل يعقل أن عمر ظل طوال فترة الخلافة لا ينام .

3-ومن هذا الباب زعمهم أن أبا حنيفة ظل أربعين سنة يصلى العشاء بوضوء الفجر ، وهذا كذب لا أصل له ولو صح لكان مخالفا أيضا لهدي رسول الله الذي قال (وأقوم وأرقد)

4- ومن المبالغات قولهم في الترغيب في تلاوة القرآن في رمضان : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة وفي كل شهر ثلاثين ختمة ، وفلان كان له أربع ختمات ، وأبو حنيفة كان له ختمة بالليل وختمة بالنهار وختمة داخل الصلاة وختمة خارجها!!!

فهذه الآثار مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يلتفت إليها كثيرا لنهيه عليه السلام عبدالله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

يقول عبد الله بن عمرو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرإ القرآن في شهر قلت إني أجد قوة حتى قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك . رواه البخاري . وقوله عليه الصلاة والسلام { لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث } رواه أبو داود

فأعدل شيء وأحسنه عدم ختمه في أقل من ثلاث.. وكلما زادت سرعتك في القراءة.. قل تدبرك له، وللمقارنة: مصحف الشيخ الشريم -والمسجل من

صلاة التراويح- استغرق أكثر من ست عشرة ساعة مع أنه يقرأ حدرا (بسرعة) ولكي يختم مرتين بهذه السرعة يحتاج ثلاثا وثلاثين ساعة تقريبا!! واليوم أربع وعشرون ساعة! لكن مع الصلوات والواجبات الأخرى أنى يمكن ختمه مرتين؟ إلا إذا كانت القراءة هذا كهذ الشعر؟!

وختمه مرة واحدة في اليوم أيضا صعب مع التدبر إن لم يكن مستحيلا.

ولا يصح الاستدلال بالبركة ، فالبركة حقا إنما تكون مع من قرأ القرآن بتدبر وفقه، كما قال سبحانه وتعالى: **(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)** [سورة ص: آية 29]

5-ومن ذلك ما ورد عن الفضيل بن عياض أنه لما مات ولده مشى في جنازته وهو يضحك !!! فكيف يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم- ابنه إبراهيم بينما يضحك الفضيل في جنازة ابنه ، وأيهما أولى بالرضا النبي- صلى الله عليه وسلم- أم الفضيل؟!

ولنسمع لكلام العلماء : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-لما سئل عن ذلك : (هدي نبينا أكمل ، لأن نبينا- صلى الله عليه وسلم- أدى العبودية على وجهها ، فهناك عبودية الرأفة والرحمة وهناك عبودية الرضا ، فأدى عبودية الرأفة والرحمة فبكى على ابنه ، وأدى عبودية الرضا فقال: ولا نقول ما يغضب الرب ، لكن ضاق قلب الفضيل بن عياض عن استيعاب العبوديتين جميعا فقدم عبودية الرضا على عبودية الرأفة والرحمة) فهدي نبينا أكمل ، والبكاء لا يعد من عدم الرضا ، إنما البكاء رحمه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: (**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب)**

والأمثلة كثيرة وما ذكرناه فيه الكفاية إن شاء الله.

سابعا/ وسطية الإسلام في الأخلاق

جاء الإسلام وسطا في أخلاقياته ، فلم ينظر إلى الإنسان باعتباره خيرا محضا أو شرا محضا ، أي لم يكن تعامله مع الإنسان على أنه ملك أو شيطان، وإنما تعامل معه بما يتوافق مع أصل فطرته وطبيعة تكوينه ، فهو مخلوق مكلف مختار ، صالح للطاعة أو المعصية ، فيه الجانب المادي والجانب الروحي .

وسأضرب مثالا واحدا على ذلك : إذا وقع اعتداء على إنسان ما ، فإن النصرانية مثلا تدعوه إلى الإفراط في التسامح والعفو ، وفي هذا يقول إنجيلهم : (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر)

ويقول : (أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم)

ولا شك أنها نظرة مثالية محمودة ، ولكنها ليست متوازنة لأن الإنسان بطبيعته وفطرته يميل إلى الدفاع عن نفسه ورد الاعتداء الواقع عليه ، والانتقام ممن أهانه أو غض من كرامته ، فإذا وقع الاعتداء ، وطلب منه إلزاما أن يعفو ويصفح ، فلا شك أنه سيكبت غضبه وغيظه على كره ومضض ، وسيحاول التنفيس عن غضبه وغيظه حينما تسنح الفرصة المناسبة .

أما الإسلام ، فلأنه دين متوازن وواقعي ، فإنه سيأتي وسطا في هذه القضية ، بأن يراعي في النفس البشرية نوازع الرغبة في الانتقام والثأر، فأباح للمعتدى عليه أن يرد الاعتداء بمثله فقط ، بحيث لا تنتقل المسألة من خانة رد الاعتداء إلى خانة التشفي والظلم ، يقول تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[البقرة:194] ويقول سبحانه : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) [الشورى 40]**

ولكن الإسلام وهو يبيح رد الاعتداء ، فإنه يرغب في العفو والتسامح ، أي أنه يطلب من المعتدى عليه أن يتسامى بغريزة رد الاعتداء إلى مستوى أعلى وأفق أرحب .

ويتضح ذلك مما يلي :

1- أطلق الإسلام على عملية رد الاعتداء ، صفة الاعتداء كما بينت الآية المذكورة آنفا **(فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** وصفة السوء كما قال في الآية الأخرى **(سيئة مثلها)** .. مع أن الأصل ألا يطلق على رد الاعتداء صفة الاعتداء ولا على رد السيئة ولا على رد السيئة سيئة لكن هذا في حقيقة الأمر ترغيب في العفو والمسامحة من طرف خفي ، فالمسلم بطبيعته ينأى بنفسه بعيدا عن الاعتداء وعن السيئة ، فهو يؤثر العفو والتسامح .

2- اشترط الإسلام تحقق المثلية في عملية رد الاعتداء ، وأكد عليها ، وحذر من تجاوزها؛ وهذا أيضا في واقع الأمر دعوة إلى العفو والتسامح إذ أن المسلم الورع الذي يخشى الله ويراقبه ، يخاف ألا يلتزم بهذه المثلية ويخاف أن

تدفعه غزيرة الانتقام إلى رد الصاع صاعين ، والتشفي من غريمه ، لذا فإنه يؤثر السلامة ، ويجنح إلى العفو والتسامح ، خاصة وأن الله عز وجل قد استجاش فيه مشاعر التقوى ، حينما قال في نهاية الآية الأولى **(واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) [البقرة 194.]**

3- بين الإسلام أن العفو والتسامح هو المسلك الأولى والأجدر بالقبول ، وذلك في ختام الآية الثانية **(فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)[الشورى 40]**

4- ثم يحث الإسلام على السمو إلى منزلة أعلى ومكانة أسمى ، وذلك حينما لا يكتفي بالترغيب في العفو ، وإنما يرغب في الإحسان إلى المسيء ، ومواجهة السيئة لا بسيئة مثلها وإنما بحسنة تزيل أسباب العداوة وتمحو دوافع البغضاء **(فمن عفا وأصلح فأجره على الله)** ويقول سبحانه : **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) [فصلت 63]**

ويقول جل شأنه : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) [آل عمران : جزء من الآية (134]

ويقول (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) [الشورى: 43]

وبهذا أقام الإسلام التوازن في خلق المسلم ، فلا إفراط ولا تفريط.

ثامنا/ وسطية الإسلام بين الدنيا والآخرة

يبالغ الكثير من الخطباء في ذم الدنيا وأهلها فيفهم السامعون أن مقتضى هذا الكلام ترك الدنيا كلها بما فيها رغم أننا نتلو في آيات القرآن **(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) [هود: 61]** أي طلب منكم عمارتها .

والدنيا لم تذم في القرآن إلا لسببين :

إذا ألهت عن ذكر الله وطاعته ، أو إذا توصل الإنسان إليها بالحرام الممنوع دون الحلال المشروع .

أما الدنيا هذه البسيطة التي نحيا عليها فقد أمرنا الله بالسعي فيها والأكل من

رزقه وعمارتها ، وليس الزهد معناه الفقر وقلة ذات اليد ، إنما الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك ،أن تملك المال ولا يملكك ، وقد يكون هناك غنى مع الزهد (كما رأينا في صحابة الرسول كأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف)وقد يكون فقير غير زاهد .

وكما نتمنى الموت في سبيل الله فلنجعل من أمنياتنا أيضا أن نعيش في سبيل الله وهذا هو التوازن الذي تعلمناه من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ذكر في بداية الموضوع **(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر)**

وكما قال الشاعر :

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا ـــ وأقبح الكفر والإفلاس بالناس

ومن أقوال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله المسلمون طلقوا الدنيا فتزوجها الغرب.

وهذا لا يتنافى مع ما ورد عن علي بن أبي طالب في قوله :

إن لله عبادا فطنا طلقوا ـــ الدنيا وخافوا الفتنا

فإن عباد الله لا تشغلهم الدنيا عن طاعة الله ولا يجعلون الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم ولا غاية قصدهم بل يجعلونها ممرا للآخرة، والمعنى الخاطئ هو رفض الدنيا بالكلية وعدم التزود من حلالها وترك عمارتها فبعد أن أسس أجدادنا في القرون السابقة المفضلة أروع حضارة عرفها الإنسان تخلف المسلمون في عصور الانحطاط الحضاري والثقافي إلى أن صاروا يستجدون الشرق والغرب في باب الحضارة الدنيوية والوسائل المادية، وإلا فمن الذين عمروا عواصم العالم بالعلم والمعرفة إلا المسلمون الأوائل؟

أما أرسل أجدادنا أشعة النور والرقي والتمدن من مكة والمدينة والقاهرة ودمشق وبغداد والزيتونة والقيروان وقرطبة والحمراء والزهراء وأقاموا أقسام الفقه والتأريخ وعلم الاجتماع والكيمياء والفيزياء والأحياء والطب والهندسة ؟

يقول الشيخ محمد عبده : ذهبت إلى الغرب فوجدت مئة أسطول ودينهم يقول : إذا صفعك أحدهم على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر فعدت إلى الشرق

فوجدت مئة مسطول ودينهم يقول : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)[الأنفال:60]**

فأين تطبيقنا للقرآن وهو يدعونا للعمل والجد والمثابرة وعمارة الأرض واستخراج خيراتها والإنتاج والإتقان والإبداع. ولكن الأمل معقود في الله وبشائر الأمل موجودة في جيل جديد موهوب صاعد مسلم أصبح الآن في بلادنا وغيرها يأخذ مقعده اللائق به في كل مجالات التقدم والرقي والحضارة والمدنية.[1]

****

[1] الخطبة أخذت أغلب عناصرها من كتاب : كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها للدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله بتصرف واختصار.

الخطبة السابعة
سلامة الصدر
قبل ليلة النصف
من شعبان

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل ليلة النصف من شعبان.

ثانيا/ مغفرة الله لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.

ثالثا/ أهمية سلامة الصدر.

رابعا/ أسباب التشاحن والتباغض.

خامسا/ الأسباب المعينة على سلامة الصدر.

سادسا/ السعي في إصلاح ذات البين.

الخطبة السابعة

سلامة الصدر قبل ليلة النصف من شعبان

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل ليلة النصف من شعبان.

ثانيا/ مغفرة الله لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.

ثالثا/ أهمية سلامة الصدر.

رابعا/ أسباب التشاحن والتباغض.

خامسا/ الأسباب المعينة على سلامة الصدر.

سادسا/ السعي في إصلاح ذات البين.

أولا/ فضل ليلة النصف من شعبان

لم يثبت في فضل قيام ليلة النصف من شعبان أو صيام نهارها خبر صحيح مرفوع يعمل به ؛ وما ورد فيها من أحاديث وآثار عن بعض التابعين فهي مقطوعة السند أو ضعيفة جدا ، بل ومنها ما هو موضوع.

وقد اشتهرت تلك الروايات عند الكثير من أنها تكتب فيها الآجال وتنسخ الأعمار ... إلخ، ولم يصح شيء من ذلك بدليل صحيح .

وعلى هذا فلا يشرع إحياء تلك الليلة، ولا صيام نهارها ولا تخصيصها بعبادة معينة ، فإذا أراد أن يقوم فيها كما يقوم في غيرها من ليالي العام – دون زيادة عمل ولا اجتهاد إضافي ، ولا تخصيص لها بشيء – فلا بأس بذلك .

وكذلك إذا صام يوم الخامس عشر من شعبان على أنه من الأيام البيض مع

الرابع عشر والثالث عشر ، أو لأنه يوم اثنين أو خميس إذا وافق اليوم الخامس عشر يوم اثنين أو خميس فلا بأس بذلك؛ إذا لم يعتقد مزيد فضل أو أجر آخر لم يثبت .

ثانيا/ مغفرة الله لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن

صح في فضلها حديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن) [2]

وفي رواية أبي ثعلبة الخشني يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه» حسنه الألباني .

وما ينبغي أن نتوقف عنده هو ما ورد في الحديث السابق أن الله يغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن .

لعل أعجب ما في الحديث تلك المغفرة الشاملة في قوله: «فيغفر لجميع خلقه»! ذلك التعميم الذي يدل على المغفرة الواسعة من أكرم الأكرمين، وهو سبحانه الذي أخبر عن نفسه فقال : **{إن ربك واسع المغفرة} [النجم:32].**

ومن واسع فضل الله أنه لم يذكر عمل معين مرتبط بها، بل جعلها كهدية وعطية في هذه الليلة الكريمة من ذلك الشهر، وهذه المغفرة بشرطين ينبغي أن يتحققا فيمن تشملهم تلك المغفرة الواسعة:

الأول : في حق الله وهو : الإيمان بالله والبراءة من الشرك .

الثاني : في حق عباده، وهو ترك الشحناء والبغضاء والحقد والغل والكراهية.

أما الشرك فقد عافانا الله منه، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل التوحيد يعبدونه وحده لا شريك له .

ثالثا/ أهمية سلامة الصدر، وأما سلامة الصدر فهي موضوعنا :

---

[2] رواه ابن ماجة وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 1144 .

أولا / من هو المشاحن ؟

المشاحن :هو الذي امتلأ صدره بالعداوة والحقد على غيره، والشحناء: هي التي تشحن القلب غيظا وبغضا، فتحمله على الهجر للصديق والجار، والقطيعة لذي الرحم، والعدوان بغير الحق.

من صفات المؤمن سلامة الصدر : أي سلامته من أمراض القلوب ؛ من الغل والحقد والحسد والشحناء والبغضاء.

ولقد جاءت النصوص في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله تؤكد هذا المعنى .

أولا من القرآن :

1- يقول تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) [الحشر 10]

2- وذكر جل وعلا أن من صفات أهل الجنة سلامة قلوبهم من الغل فقال جل وعلا: **(ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار)** [الأعراف 43]

3- وحرص الإسلام حرصا شديدا على تأليف قلوب أبناء الأمة بحيث تشيع المحبة وترفرف رايات الألفة والمودة، وتزول العداوات والشحناء والبغضاء والغل والحسد والتقاطع؛ ولهذا امتن الله على المؤمنين بهذه النعمة العظيمة فقال:**(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) [آل عمران:103].**

ثانيا / من السنة :

1- **سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة : فعن أنس بن مالك قال: (كنا جلوسا مع الرسول فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)**

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا فطلع ذلك

الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت (حدثت مشادة) أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ فقال: نعم.

قال أنس: وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا ؛ غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا .

فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق) [3]

2- **وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا بينه وبين أخيه شحناء فيقال : اتركوا هذين حتى يفيئا)** رواه مسلم ، أي يتراجعا عن الخصومة .

3- - بل وللحد من الشحناء والبغضاء بين المؤمنين حدد الوقت الزمني الذي لا يجوز للمؤمن ان يتجاوزه في هجرانه لأخيه المسلم فقال : **(لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)** رواه البخاري ومسلم

4- **وسئل رسول الله عن أفضل الناس، فقال: كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا: صدوق اللسان نعرفه؛ فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي**

---

[3] رواه الإمام أحمد ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لمسند الإمام أحمد (125/20 (إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب.

الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) [4]

5- أما بالنسبة للمجتمع فإنه يكون مجتمعا متماسكا متراصا متكاتفا ترفرف عليه رايات المحبة والإخاء ويصدق عليهم قول النبي : **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.) صحيح مسلم**

6- **وهذا علبة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه لما دعا النبي إلى النفقة ولم يجد ما ينفقه بكى وقال: اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس. فقال النبي : أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام علبة رضي الله عنه، فقال: النبي : (أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة.)**[5]

7- ولقد حرص النبي أن يزرع في نفوس أصحابه سلامة الصدر ففي بداية مقدمه إلى المدينة بدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثم إنه ولما سمع بوجود خلاف بينهم **قال معاتبا: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**

ثالثا / من أقوال السلف :

1- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدا من بلدان المسلمين فأفرح به، ومالي به سائمة.

2- ودخلوا على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض فرأوا وجهه يتهلل (من السرور) فكلموه في ذلك فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي سليما للمسلمين.

3- عن ربيعة رضي الله عنه قوله (... وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا وأعطى أبا بكر أرضا فاختلفنا في عذق نخلة قال وجاءت الدنيا فقال أبو بكر هذه في حدي فقلت لا بل هي في حدي قال فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم عليها ...

---

[4] رواه ابن ماجه في سننه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

[5] صححه الشيخ الألباني في فقه السيرة (ص: 405)

قال : فقال لي: يا ربيعة قل لي مثل ما قلت لك حتى تكون قصاصا .

قال : فقلت: لا والله ما أنا بقائل لك إلا خيرا .

قال: والله لتقولن لي كما قلت لك حتى تكون قصاصا وإلا استعديت عليك برسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قال فقلت لا والله ما أنا بقائل لك إلا خيرا.

قال فرفض أبو بكر الأرض وأتى النبي صلى الله عليه وسلم جعلت أتلوه فقال أناس من أسلم يرحم الله أبا بكر هو الذي قال ما قال ويستعدي عليك؟

قال فقلت أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين هذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة .

قال فرجعوا عني وانطلقت أتلوه حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقص عليه الذي كان قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ربيعة مالك والصديق؟ قال: فقلت مثل ما قال كان كذا وكذا ، فقال لي: قل مثل ما قال لك ؛ فأبيت أن أقول له.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أجل فلا تقل له مثل ما قال لك ، ولكن قل: يغفر الله لك يا أبا بكر، قال: فولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يبكي) .[6]

4- ووقعت جفوة بين الحسن وأخيه محمد بن الحنفية فكتب ابن الحنفية إليه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ... أما بعد : فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، أبونا علي رضي الله عنه لا أفضلك فيه ولا تفضلني وأمك فاطمة بنت رسول الله . . ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ، ما وافين بأمك ، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وتعال فترضني ، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام) .

---

[6] القصة رواها الإمام أحمد في مسنده، وقال المحققون عن الحديث: إسناده صحيح، وردت القصة في "الآداب الشرعية" لابن مفلح، و"الشعب" للبيهقي، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

فعلم الحسن أن أخاه يذكره بقول الرسول : **(لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)** فسارع الحسين رضي الله عنه وذهب إلى أخيه فترضاه .

رابعا/ أسباب التشاحن والتباغض

1- طاعة الشيطان:

قال تعالى: **(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) [الإسراء:53]**

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : { إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم.

2 – الغضب: فالغضب مفتاح كل شر.

3 – النميمة: وهي من أسباب الشحناء وطريق إلى القطيعة والتنافر.

4 – الحسد يولد الغيبة والنميمة والبهتان على المسلمين والظلم والكبر.

5 – التنافس على الدنيا: فهذا يحقد على زميلة لأنه نال رتبة أعلى، والأمر دون ذلك فكل ذلك إلى زوال.

6 – حب الشهرة والرياسة: وهي داء عضال ومرض خطير، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير).

خامسا/ الأسباب المعينة على سلامة الصدر

1- الدعاء (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا).

2- حسن الظن وحمل الكلمات والمواقف على أحسن المحامل قال عمر: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرا، وأنت تجد لها في الخير محملا. وقال الشافعي: من أراد أن يقضي له الله بخير فليحسن ظنه بالناس. ولما دخل عليه أحد إخوانه يعوده قال: قوى الله ضعفك ،فقال الشافعي رحمه الله: لو قوى ضعفي لقتلني قال الزائر :والله ما أردت إلا الخير فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

3- التماس الأعذار وإقالة العثرات والتغاضي عن الزلات: التمس لأخيك سبعين عذرا. يقول ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا فإن لم تجد فقل: لعل له عذرا لا أعرفه. – تذكر سوابق إحسانه فإنه مما يعين على التماس العذر وسلامة الصدر واعلم أن الرجل من عدت سقطاته، والمؤمن يلتمس المعاذير، والمنافق يلتمس العثرات.

4- ادفع بالتي أحسن: ليس هذا من العجز، بل من القوة والكياسة قال الله تعالى: **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت:34).**

5- البعد عن الغيبة والنميمة وتجنب كثرة المزاح.

6- الهدية فإنها من دواعي المحبة.

7- الإيمان بالقدر فإن العبد إذا آمن أن الأرزاق مقسومة مكتوبة رضي بما هو فيه ولم يجد في قلبه حسدا لأحد من الناس على خير أعطاه الله إياه.

8- إفشاء السلام فهو طريق المحبة بين المسلمين قال صلى الله عليه وسلم : **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم .**

9- أخيرا تذكر حال النبي الذي كان يشكر ربه على النعم التي أنعم بها حتى على غيره من الخلق حين يصبح وحين يمسي.

سادسا/ السعي في إصلاح ذات البين

فنسعى للإصلاح بين كل متخاصمين، وهذا من أحب الأعمال إلى الله ؛ **فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من الصلاة والصيام والصدقة ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال إصلاح ذات البين (العداوة والبغضاء)، وإفساد ذات البين هي الحالقة) رواه أبو داود.**

اللهم أصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا

ولا تجعل للشيطان حظا بيننا آمين.

الخطبة الثامنة

ألا تحبون

أن يغفر الله لكم؟

عناصر الخطبة:

أولا / سبب نزول الآية.

ثانيا/ هل تستطيع أن تكون مثل الصديق؟

ثالثا/الصفح بعد العفو.

رابعا/ (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟)

خامسا/ من هو المشاحن؟

الخطبة الثامنة

ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

عناصر الخطبة:

أولا / سبب نزول الآية.

ثانيا/ هل تستطيع أن تكون مثل الصديق؟

ثالثا/الصفح بعد العفو.

رابعا/ (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟)

خامسا/ من هو المشاحن؟

أولا / سبب نزول الآية

هذا السؤال جاء في سياق قول الله تعالى : **(ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربىٰ والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) [النور:22]**

هذه الآية نزلت بعد الحادثة التي كانت في شأن أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق حينما رمتها ألسنة النفاق بالإفك ، وبرأها الله جل وعلا من فوق سبع سماوات.

ووقع في هذا البلاء من وقع من المسلمين ، وخاض فيها من خاض، وكان منهم مسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق، الذي نشأ يتيما وهاجر إلى المدينة، فكان أبو بكر رضي الله عنه متكفلا به وبالإنفاق عليه، لكن لما علم الصديق رضي الله عنه أن مسطح فيمن خاضوا في ابنته عائشة أقسم أن يقطع عنه النفقة.

وكان مسطح وعدد من الذين وقعوا في عائشة أقيم عليهم حد عقوبة القذف ، فأراد الله جل وعلا أن يرطب القلوب وأن يؤلف بينها فنزل موجها ومبينا لنا أنه لا يمنعنكم إن أبدى أحد إليكم سوءا أن تقطعوا خيرا بذلتموه لله.

(ولا يأتل) آلى يعني أقسم يمينا بالله أو حلف بالله؛ فالله تعالى يقول لا يقسم أحد من أولي الفضل.

وقوله: **(ولا يأتل أولو الفضل)** هذه منقبة عظيمة للصديق رضي الله عنه.
فالله جل في علاه منح هذا الوسام الرفيع للصديق، فعائشة ابنة الصديق مبرأة من فوق سبع سماوات ، وأبوها بشهادة القرآن الكريم من أهل الفضل.

وأهل الفضل هنا الذين جعل الله تعالى في أخلاقهم خصالا طيبة تسع الناس.
ومعنى **(السعة)** يعني من وسع الله عليهم بالمال فهو من أهل الفضل ، ومن أهل السعة الذين وسع الله عليهم بالأموال.
فالله تعالى ينهى أن يكون هؤلاء الذين منّ الله عليهم بالمال ممن يمنعون نفقاتهم عمن يحسنون إليهم بسبب إساءتهم.
يا إخواني ضعوا أنفسكم مكان الصديق رجل رباه الصديق من صغره إلى أن صار رجلا، لم يقطع النفقة ولا المال عنه، لم يسئ إليه بل امتدت يد الإحسان من فضل الله عليه من صغره إلى كبره، فقابل كل هذا نكرانا وإساءة ثم خاض في عرض ابنته. ماذا تفعل ؟

أقل شيء أن تقطع النفقة عنه، وتقطع علاقتك به وحق لك ذلك.
فأي نفسية تعلو فوق حظوظ النفس البشرية حينما يناديها الله: **(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)** فيرد مجيبا : بلى يا رب.

هل تستطيع في مثل هذا الموقف بل أقل منه أن تتجاوز عن الإساءة استجابة لأمر الله : **(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)**

ثانيا/ هل تستطيع أن تكون مثل الصديق؟
هل تستطيع أن تعلو عن حظ النفس والأنانية، وتعلو عن إساءة غيرك، بأن تكون من أهل الفضل والكرم الأخلاقي فتجعل مقابل إساءة غيرك إحسانا إليهم؟

هكذا ارتقى الصديق رضي الله عنه ، بل أعاد النفقة وضاعفها رغبة في أن يغفر الله له .

يا إخواني، الله تعالى شاء أن تكون هذه النوعيات قدوات لنا حتى نتأسى بها.

رب العزة خلقنا نحب أنفسنا، كلنا نحب ذواتنا ونحب من يحسن إلينا وربما ننسى الجميل، لكن الإساءة لا تنسى فهي شيء قاس على النفس!!! وهذا ابن خالته فصارت أصعب وأصعب .

وأنا لا أتكلم هنا عن خوض في عرض، أنا أتكلم عن مناقشة صغيرة بين اثنين يدوم بعدها الفراق لسنين.

أتكلم عن مسألة أو موقف أسيء الفهم في بعض كلماته أو في سوء النقل من فلان إلى فلان فتصير القطيعة لشهور.

أتكلم عن أسرة خربت بسبب كلمة قيلت في ساعة غضب بين زوج وزوجة استمرت حياتهم عشرة، خمسة عشر سنة.... يخرب البيت في كلمة واحدة مع العجلة وشدة غضب وسرعة التصرف طبعا تصرف موتور خرب البيت وخربت الدنيا.

أتكلم يا إخواني عن مواقف كثيرة جدا بيننا كانت تحتاج إلى سعة صدر، كانت تحتاج إلى احتواء، كانت تحتاج إلى لحظة هدوء، ومراجعة للنفس.

يعني أنا وأنت بيننا رصيد كبير من العلاقة والمحبة والود والمواقف الطيبة بسبب موقف تافه تبيعني وتهجرني لشهور أوسنين؟

أو بيننا من الرحم بسبب تصرف سيء في ساعة غضب، أو سوء فهم، أو سوء ظن أقطع العلاقة بيني وبين أرحامي مدى العمر ؟

بل ربما هناك من يورث هذه العداوة لأولاده ويقول : إياكم أن فلان يزورني أو يمشي في جنازتي، أو إلى آخره.لا حول ولا قوة إلا بالله.

الله يربينا يا إخواني لنعلو على حظوظ النفس وأن نعلم أن النفوس الأنقى والأرقى والأفضل هي التي تعفو وتصفح.

ثالثا/الصفح بعد العفو

ولاحظ التعبير القرآني: **(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا)** طيب العفو نعرفه، أن تترك المؤاخذة على الإساءة؛ أنا عفوت عن فلان يعني لا أؤاخذه على إساءته أنا سامحتك، فما هو الصفح ؟

الصفح هو أن تنسى الإساءة يعني لا يأت يوم أو لحظة وأقول لك هل تذكر يوم قلت كذا أو فعلت كذا؟

هذا طبعا إيذاء؛ فأظل طوال العمر أو كلما استدعى الموقف أن أذكره بما مضى، أذكره وأقول له: كذا وكذا وكذا ، وأنا الذي أحسنت وأنا عملت بأصلي ، وأنا أكرم منك ، وأنا وأنا ....حتى يود الطرف الآخر لو أنك عاقبته أفضل من منّك (بتشديد النون)عليه طوال العمر.

ويا للأسف يحدث هذا مع الأزواج ؛ الزوج عنده سجل حافل لزوجته فأول ما تحصل المشكلة يأتي بالتاريخ، يقول لها هل تذكرين سنة كذا وتذكرين سنة كذا ، ولما أنجبت طفلنا الأول الذي سنه عشرين سنة الآن ، ولما أنجبت ابنتنا، والزوجة نفس الحال عندها ما شاء الله صحيفة سوابق ملآنة للزوج ؛ فتقول له : أنت نسيت أيام الخطوبة؟ لا إله إلا الله!

(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) أن يكون القلب سليما ما فيه شيء، لكن أن تقول عفوت والقلب الأسود ممتلئ بالعداوة ويضمر الشر، هذا لا يحبه الله عز وجل.
إذا كنت ما زال في قلبك شيء، صارح به، لكن تجلس في جلسة صلح وتتفق على إنهاء الخصومة وفي نيتك الغدر، ويتمنى أن يقوم على صاحبه كما يقوم الوحش بالانقضاض على فريسته.

أين العفو يا أخي؟ يقول لك أنا استحيت من الرجال...أين الصفح ؟
يقول لك لا لم أستطع هؤلاء ناس كذا وكذا وكذا...(يسبهم ويلعنهم)

(وليعفوا وليصفحوا) ما الثمن يا إخواني؟ (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟)

رابعا/ (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟)

(ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟) هذا هو المقابل يا إخواني؛ فمن يردّ هذه الدعوة ؟ ألا للحض على الفعل؛ ألا ترغبون ؟هل ترغبون فعلا ؟ بلى يا رب.

إذن فاعف عمن ظلمك وأساء إليك، سامح، اصفح، اجعل قلبك أبيض، لا تكن دائما حمال للإساءات والعداوات.

الإنسان لن يتسع صدره ولن يتسع وقته ولا عمره إلى أن يعادي الناس كلها.
ولو ابتغيت صديقا بلا عيب فلن تجد أحدا تصاحبه؛ كلنا بشر، كلنا نخطئ،

كلنا فينا نقص، فلو بحثت في الدنيا كلها عن شخص بلا عيب أو بلا نقص، فلن تجد، ولو ظللت تقاطع كل إنسان يصدر عنه أي شيء يخالف ما تحب فلن تصاحب أحدا، فعامل الناس بالعفو كما قال الله لنبينا صلى الله عليه وسلم : **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[الأعراف، الآية 199]**

ما معنى (خذ العفو) ؟
أي ما سمحَت به أخلاق الناس وأحوالهم وطبائعهم خذ العفو ولا تنتظر المثالية في الأخلاق من كل من تلقاه وكل من تتعامل معه بل الناس فيهم في هذا الباب تفاوت عظيم، فإذا هيئت نفسك هذه التهيئة أن تأخذ بالعفو، وما سمحت به أخلاق الناس، وتَيسر لهم القيام به سعدت في هذه الحياة.

أما إذا كنت تنتظر من كل من تلقاه أن يكون مثالياً في أخلاقه، وفي تعاملاته فلن تجد ذلك ، لأن الناس طبائع وأجناس: منهم سريع الغضب، ومنهم سريع الانفعال ومنهم الهادي ومنهم العنيف ومنهم الغليظ ...إلى آخره .
فهيئ نفسك لملاقاة هذه الأنواع والأصناف المتباينة من الأخلاق وخذ ما سمحت به نفوس الناس منها، ولو أن كل اثنين اختلفا تخاصما وتهاجرا لخربت الدنيا.

وهذا الإمام الشافعي لما اختلف مع أحد تلامذته يونس بن عبد الأعلى اختلف معه في مسألة فقهية، أمسك الشافعي بيده وقال : وما عليك لو اختلفنا في مسألة لكن لا تختلف قلوبنا!!

أنا وأنت عندنا اختيار فقهي، أنت من المذهب الفلاني من المدرسة الفلانية تأخذ عن الشيخ فلان ؛ ما المشكل لو اختلفنا في مسألة لكن لا تختلف قلوبنا؟ ما المشكلة لو تعددت وجهات النظر في موضوع بينك وبين زوجتك وحاولنا التقريب بين المسافات ؟ ما المشكلة لو تنازلت قليلا حتى تدوم الحياة؟

وقد أشار القرآن إلى مسألة صغيرة جدا، مسألة فطام الطفل الصغير.
أول الآيات قال تعالى: **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)[البقرة: 233]** فإذا أراد الأبوين أن يكون رضاع ابنهما أقل من سنتين قال: **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)** أراد الأبوين فصل الولد عن أمه يعني بالفطام، ماذا قال الله؟ (**عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ**) فالحياة الزوجية ليست استبدادا فكل شخص يستقل برأيه؛ إما رأيي وإما الطلاق.

إما أن تسمعي كلامي وإما أن تذهبي لأهلك؛ لا ليست الحياة الزوجية نعم أو لا؛ الحياة الزوجية **(عن تراض منهما وتشاور)** هذا في فطام الطفل فما بالكم بما هو أكثر من ذلك، مصير الأولاد، مصلحة البيت؟ ما المانع أن نقرب المسافات، ما المانع أن تتنازل أيها الزوج؟ أو تتنازلي أيتها الزوجة قليلا حتى تتقارب وجهات النظر.

من اللطائف الجميلة للشيخ الشعراوي في تفسيره يقول مثلا: لو جاءك أحد أبناءك يشكو إليك أن أخاه قد ضربه فأخذت المضروب وطمأنته وهدأته ثم جئت بقطعة من الحلوى شوكولاتة أو شيء، وقلت للآخر: أنت لن تأخذ مثلما أخذ أخوك. يقول : هنا يتمنى الطفل الذي ضرب أنه يكون هو المضروب. لأنه أخذ الحنان من الوالد وأخذ الحلوى.

هنا رب العزة سبحانه وتعالى يقول لك أبشر يا من عفوت، أبشر يا من صفحت إن أجرك عند الله **(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)**[الشورى:40]

لو تنازلت قليلا وصرت لين الجانب لزوجتك، لأخيك، لرحمك، لصديقك، لله عز وجل أبشر برضا الله سبحانه وتعالى.

والله يا إخواني تعجبون معي لكثير من الناس ما شاء الله عليه تغبطه في صلاته، تغبطه في عبادته، تغبطه في كل شيء إلا في هذه النقطة تجده قاسي عصبي صعب، لماذا يا أخي ؟ يقول لك أنا هكذا.

غير نفسك لوجه الله الذي تسجد له، غير من طباعك؛ فإن رب العزة قال لمن هو خير منك : **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[الشعراء 215]** **وقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ كنت من اللين وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[آل عمران: 159]**

خامسا/ من هو المشاحن؟

غدا إن شاء الله ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر، وهذه الليلة صح فيها حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : **(إن الله تبارك وتعالى يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن .)**

أما المشرك فقد عافانا الله، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل التوحيد، وأما المشاحن فهو المشكلة؟

من هو المشاحن؟
مشاحن من الشحناء كأن في شحن في الصدور، مواقف عديدة وكثيرة، أدت إلى أنك لم يعد لك قبول عندي.

فالتشاحن سببه الخصام، أو السب، أو العداوة، أو النميمة، أو التنافس الدنيوي، أو اختلاف وجهات النظر؛ فيؤدي ذلك إلى ضيق في الصدر بهذا الشخص، وقد يؤدي هذا إلى الفجور في الخصومة بفضح الأسرار وهتك الأستار والتشهير بخصمك أمام الناس، هذه من صفات النفاق نسأل الله العافية، والنبي صلى الله عليه وسلم : قال : **(وإذا خاصم فجر)** فهذه من ألد أنواع الخصومة أنك إذا عاديت شخصا تهتك الستر الذي بينك وبينه سواء الشخص هذا صديق أو زوجة.
عند الخصام تشتعل نار العداوة : يقول لك لا أنا لازم أتكلم..... يا أخي هذه أسرار بيوت.... يا أخي هذه أعراض..... يقول لك لا أنا لن أسكت... يا أخي، اتق الله. صن لسانك.... هذه أم أولادك.... يا أختي هذا أبو أولادك. لا حول ولا قوة إلا بالله.

ظلمني... ظلمتني... أتركها لله. أسكت لله ... الله تعالى قال : **(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)[البقرة :229]**

يا قوم اسمعوني الله يقول: (بإحسان) وليس تشهير وليس تجريح وليس خوض في أعراض. لا حول ولا قوة إلا بالله.

بعض العلماء قال: أما تعلمون أن سلامة الصدر جزء من نعيم الجنة ؟ سبحان الله كيف هذا ؟
قال: قال تعالى : **(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)** [الأعراف:43]
هل تريد أن تعيش سليم الصدر تتمتع بجزء من نعيم أهل الجنة ؟
مع ضيق الصدر والله تضيق بك الحياة!! والله تصير الحياة جحيم لا يطيب لك طعام ولا شراب ولا نوم، لأن الشخص الذي يحقد ولديه خصومة أو عداوة دائما مترقب متربص ضيق الصدر ضيق النفس، دائما يتوقع السوء يتوقع الشر... لا إله إلا الله!

اذكر ذات مرة في صلح بين شخص وزوجته السابقة واتفقنا على بعض الأمور، ومع ذلك قال: لا ولكني سأفعل كذا وأفعل كذا وسأذهب للمحكمة وسأوكل محامي...

قلت له يا أخي بكم تشتري راحة بالك؟ وبكم تشتري سلامة صدرك؟
ابدأ حياة جديدة بدون أشياء تعكر عليك هذه الحياة ؟هي ظلمت، وأساءت، طيب أنت أحسن. هي أخذت أكثر من حقها طيب أنت تعفو!! وأجرك على الله.
يا إخواني نتيجة الحقد والكمد وهذه الأشياء كلها أمراض الله بها عليم.

لكن تعال على الجانب الآخر(**وليعفوا وليصفحوا)** قيمتك عند الله ترتفع ، وتتمتع براحة البال، ودائما تشعر بالسعادة ؛ فعندما يحسن المرء إلى غيره ويحب الخير لمن حوله يسعد ويفرح، وهذا ما أراده منا الإسلام؛ قال تعالى: (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) [البقرة 83]
وهذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : **(خير الناس أنفعهم للناس) و(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.)**

بعض الأطباء النفسيين جعلوا من ضمن البرامج العلاجية للمرضى النفسيين أن يذهب المريض ويقدم بعض الهدايا للأطفال اليتامى، وللمرضى، وللمحتاجين وأصحاب الإعاقة، وقالوا : إن هذا يفرز هرمون معين في الجسم يؤدي إلى شعور بالسعادة. سبحان الله!
يعني أنت حينما ترى بسمة على وجه غيرك أنت سبب فيها أنت تفرح وتسعد.
ففرصة ونحن إن شاء الله نستقبل هذه الليلة التي جعل من بركتها مغفرته مغفرة تشمل كل عباده المؤمنين إلا صنفين مشرك ومشاحن.

فأنت من أهل التوحيد فكن من أهل سلامة الصدور وادع بدعاء الذين آمنوا حينما دعوا ربهم قائلين: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** [الحشر :10]

وحتى تكتمل الصورة إذا أردت أن تصلح ما بينك وبين غيرك فرفض فقد أديت ما عليك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: **(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.)**

ويجوز أن تهجر من هجرته لله؛ فليس من المعقول أن الإنسان سيعيش بدون أن يكون هناك من يخالفه، فإذا كان هناك من إذا عاملته كانت المعاملة كلها بلاء وكلها شر فهجر هؤلاء لله لا حرج فيه.

الأحاديث الواردة في القطيعة والخصام والعفو كلها في مسألة العداوة الدنيوية العداوة التي لها سبب دنيوي ، أما من كانت معرفته بلاء ويظلمك ويسيء

إليك، ولا يترك شرا إلا أوصله إليك، فهؤلاء البعد عنهم غنيمة.

وهذا كما قال عبد الله بن المبارك الناس ثلاثة : فمنهم من هو كالداء لا تحبه بحال (الداء هو المرض) ومنهم من هو كالهواء لا تستغني عنه بحال ومنهم من هو كالدواء إذا احتجته وجدته.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهر قلوبنا
وأن يصلح ذات بيننا
وألا يجعل للشيطان حظا
في كلامنا وفي أفعالنا
بيننا وبين إخواننا .

****

الخطبة التاسعة

من هو المشاحن الذي لا يغفر الله له ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان.

ثانيا/ حكم المشاحنة في الإسلام.

ثالثا/ أحوال يجوز فيها الهجر

الخطبة التاسعة

من هو المشاحن الذي لا يغفر الله له ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان.

ثانيا/ حكم المشاحنة في الإسلام.

ثالثا/ أحوال يجوز فيها الهجر

أولا/ معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن) رواه ابن ماجة، وحسنه الألباني.

وفي الحديث عن أبي هريرة : (تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم

معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان:
أخبر الله تعالى أنه مطلع على أحوال عباده أجمعين، صغيرها وكبيرها، فقال تعالى:**{ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} [المجادلة 7]**
فالله عز وجل مطلع على أحوال عباده دائما ، وأما الحديث الذي معنا الذي يعلمنا باطلاع الله تعالى في ليلة النصف من شعبان على عباده إنما هو تذكير للإنسان، فهي موعظة توقظ الغافل.

ما السر في استثناء المشرك والمشاحن من المغفرة؟
في هذا الحديث بيان عموم مغفرة الله تعالى لجميع الخلق إلا من استثني، وهم صنفان: مشرك، ومشاحن.

فأما المشرك فهو الذي عبد غير الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، فمن أشرك بالله استحق العقوبة وهي: عدم المغفرة، والخلود في النار، كما قال تعالى:**{إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} [المائدة72]**

من هو المشاحن؟

والمشاحن قال ابن الأثير: هو المعادي، والشحناء العداوة، والتشاحن تفاعل منه، وقال الأوزاعي: أراد بالمشاحن هاهنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة، وقال ابن عبد البر في التمهيد: الشحناء العداوة، وفي عون المعبود شرح سنن أبي داود الشحن أي عداوة تملأ القلب.

فالمشاحن هو :المباغض، والمخاصم، والمقاطع، والمدابر، والحاقد، والحاسد، فكل هذه أوصاف للشحناء، وهي مفسدة لذات البين، مقطعة للصلات والأرحام، وقد جاء في الحديث:**(دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به؟، أفشوا السلام بينكم) [رواه الترمذي].**

فالوصف المشترك بين الشرك والشحناء أن كليهما يحلق الدين ويفسده، والفرق أن الشرك يبطل الدين فلا يبقي منه شيئا، أما الشحناء فتهتكه وتتركه بلا روح، وإن لم تجتث أصله.

وذلك أن مبنى العبادات في الإسلام على الاجتماع، كالصلاة في جماعة، وفريضة الحج لا تكون إلا باجتماع، والصيام الفرض في وقت واحد في شهر واحد للجميع، والزكاة فريضة اجتماعية.... وهكذا؛ فكل الشعائر شرعت جماعية، لم يخص بها فرد دون آخر، وكلها تؤدى جماعة بأوقات متحدة، وبأحكام واحدة، فلا بد إذن في إيقاعها والقيام بها من اجتماع، وأساسه التآلف والمحبة، فإذا انتفى التآلف تضررت تلك العبادات، بعضها بالنقصان والخلل، وبعضها بالزوال والترك.

فلا تجد المتباغضين يجتمعون للصلاة في صف واحد، جنبا إلى جنب؟
ولا تجد المتباغضين يعطف بعضهم على بعض بصدقة أو إحسان؟
ولا تجد المتباغضين يجتمعون على دعوة أو أمر بمعروف ونهي عن منكر ؟
فالشرك مفسد لعلاقة الإنسان بربه، والشحناء مفسدة لعلاقته بإخوانه المؤمنين، وإذا فسدت علاقته بربه وبإخوانه لم يبق له من دينه شيء، فكيف

يغفر الله له؟
وإذا فسدت علاقته بإخوانه هتك دينه وأضرّ به، لذا حرم فضل تلك الليلة المباركة.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فأجاب: «كلُّ مخمومِ القلبِ، صدوقِ اللسانِ»، قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُهُ، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: «هو النقيُّ التقيُّ، لا إثمَ عليهِ، ولا بغيَ، ولا غلَّ، ولا حسدَ» صححه الألباني.

والذي يظهر في معنى الحديث الشريف : أن الذنوب التي لا تغفر بسبب استمرار الشحناء هي نفس الشحناء التي بين المتهاجرين فقط ، فإن الله لا يتفضل على المتشاحنين بمغفرة هذا الذنب ، إلا أن يتوبا عنه ، ويرجعا إلى ما كانا عليه.

والهجران ذنبان: ذنب يتعلق بحق الله سبحانه، وآخر يتعلق بحق العبد، فإذا اصطلحا وتسامحا غفر الله لهما ما يتعلق بحقه أيضا سبحانه، أما إذا لم يصطلحا ولم يتسامحا، لم يغفر لهما، لا من جهة حق العبد ولا من جهة حق الله عز وجل.
أما الذنوب الأخرى التي بين العبد وربه، فلا شأن لها بالشحناء، فمن كان بينه وبين أخيه شحناء ، وتاب إلى الله تعالى من ذنب آخر كالكذب مثلا ، فإن الله تعالى يتوب عليه.

ثانيا/ حكم المشاحنة في الإسلام

هجر المسلم لأخيه لا يجوز ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(لا يحل لرجل أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)** رواه البخاري ومسلم .

فإذا حصل خلاف أو تشاحن أو غضب بين مسلمين فلا يجوز هجر أحدهما للآخر أكثر من ثلاث ليال وجعلت الثلاث حداً لانتهاء الغضب وسكونه لأن الآدمي مجبول على الغضب فسمح بذلك القدر ليرجع إلى رشده بعد زوال غضبه.
والهجر يرتفع حكمه بالسلام ، فإذا سلم شخص على شخصٍ ، فقد زال الهجر؛ للحديث السابق وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

ثالثا/ أحوال يجوز فيها الهجر
ويستثنى من تحريم الهجر كما ذكر أهل العلم عدة أشخاص:

1- هجر العاصي:
من كان في هجره مصلحة كصاحب المعصية إذا عُلم أن هجره فيه مصلحة له أو لغيره ، كأن يترك المعصية ، ولا يغتر به غيره ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجران كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع - رضي الله عنهم - خمسين يوما بعد تخلفهم عن الخروج معه بغزوة تبوك.

والعداوة والهجران والتباغض في الله ليست من هذا التشاحن المذموم المانع من المغفرة، لأن هذا محمول على العداوة لحظ النفس، أما ما كان لله تعالى فلا تمنع من المغفرة، وقد جاء الأمر بها في قوله صلى الله عليه وسلم : **(من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" أخرجه أبو داود**

قال الإمام المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب : قال الامام أبو داود : إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما، وابن عمر هجر ابنا له إلى أن مات .

وروى الإمام أحمد أن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد . فقال ابن لعبد الله بن عمر : فإنا نمنعهن . فقال عبد الله : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا ؟ قال : فما كلمه عبدالله حتى مات) وإسناده صحيح كما قال الشيخ الألباني.

قال ابن عبد البر : وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها ، وقال –أيضاً– : أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه ، فإن كان كذلك رخص له في مجانبته ، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية.

وقال أبو العباس القرطبي : فأما الهجران لأجل المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوب من ذلك ولا يختلف في هذا.
والذي ينبغي أولا إذا ارتكب أحدهم محرّماً يجب مناصحته وبيان حرمة هذا الأمر وأنه لا يجوز ، وتذكّيره بالله ، فإذا رأينا منه تمادياً على هذه المعصية

ورأينا أن المصلحة في هجره فهذا حكمه الجواز كما سبق.

والواجب على المسلم أن يكون واسع الصدر ، ناصحاً لإخوانه ، وأن يتحمّل منهم ويغض الطرف عن هفواتهم ، لا أن يستعجل في اتخاذ حل قد يكون سبباً للقطيعة والهجر المحرّم.

2- **هجر أهل الأهواء والبدع والفسوق:**
لأن الحب والبغض في الله واجب ولما في ذلك من الحث على الخير والتنفير من الشر والفسوق.

قال العلماء: والحاصل أنه يجب هجر من كفر أو فسق ببدعة أو دعا إلى بدعة مضلة أو مفسقة، وهم أهل الأهواء والبدع المخالفون فيما لا يسوغ فيه الخلاف، كالقائلين بخلق القرآن، ونفي القدر، ونفي رؤية الباري في الجنة والمشبهة والمجسمة، والمرجئة الذين يعتقدون أن الإيمان قول بلا عمل.

وقال ابن تميم: وهجران أهل البدع كافرهم وفاسقهم، والمتظاهر بالمعاصي، وترك السلام عليهم فرض كفاية، ومكروه لسائر الناس.

وقال الإمام أحمد: إذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه، قال النبي صلى الله عليه وسلم «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**». أخرجه مسلم ، وظاهر كلام الإمام أحمد ترك السلام والكلام مطلقاً.

وقال القاضي أبو حسين في التمام: لا تختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفساق الملة.

وظاهر إطلاقه لا فرق بين المجاهر وغيره كالمبتدع والفاسق فينبغي لك إن كنت متبعاً سنن من سلف أن كل من جاهر بمعاصي الله لا تعاضده ولا تساعده ولا تقاعده ولا تسلم عليه بل اهجره.

3- **هجر الظالم والدعاء عليه:**
العفو وعدم العفو حق للمظلوم، ومن حقّ كل مظلوم أن يطالب بحقّه في الدنيا وفي الآخرة، كما أنّ باستطاعته أن يعفو عمّن ظلمه، ولا يسمى المظلوم صاحب الحق متشاحنا ولا يشمله هذا الحديث الذي معنا.

وربّنا سبحانه عدل، وبين يديه يُقاد للشاة الجلحاء التي لا قرون لها من الشاة القرناء التي ظلمتها ونطحتها بقرونها، فكيف بالظلم الواقع بين البشر! وويل

ثم ويل لمن يظلم النّاس أو يتهمهم ظلمًا.

ولا حرج في الدعاء على الظالم؛ لما ثبت من دعائه صلى الله عليه وسلم على الذين غرروا بأصحابه عند بئر معونة من قبائل رعل وذكوان، وبني لحيان، وعصية، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم ثلاثين صباحاً، والقصة في صحيح البخاري، كما صح أنه كان يدعو على مضر.

وفي القرآن الكريم عن موسى عليه الصلاة والسلام: **(رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس:88].**

وقد ثبت في الحديث استجابة دعاء المظلوم على ظالمه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب -عز وجل-: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني.**
وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: (إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه.) وفي رواية : (اتقاء شره.) لقول الله تعالى: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) {النساء: 148}
وفسرها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: لا يحب الله أن يدعوَ أحدٌ على أحد، إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخَص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، وإن صبر فهو خير له.

وقال الشيخ: السعدي ـ رحمه الله: إلا مَن ظُلِمَ أي: فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويشتكي منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك، فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: **(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.) [الشورى:40]**انتهى من تفسير: تيسير الكريم الرحمن: للسعدي.

وقوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) {الشورى:41-43}
ولخطر دعوة المظلوم كان يتعوذ منها النبي صلى الله عليه وسلم، **فعن عبد الله بن سرجس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سافر يتعوذ**

من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكون ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.) رواه مسلم.

4- من كانت صلته تجلب الأذى والضرر:
إن كان هناك من كانت صلته يترتب عليها ضرر محقق، سواء كان قريبا ذي رحم أو شخصا آخر، فلا إثم في قطيعته حينئذ.

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه يجوز الهجر فوق ثلاث، لمن كانت مكالمته تجلب نقصاً على المخاطب في دينه، أو مضرة تحصل عليه في نفسه أو دنياه، فرب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية. اهـ.

لكن لا شك أن من وصل ذوي رحمه المسيئين، فإن الله عز وجل يعينه عليهم ويكفيه إياهم، **فعن أبي هريرة: أن رجلًا قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك. أخرجه مسلم.**
معنى " تسفهم الملّ" تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم، كما يلحقهم الألم في الرماد الحار .

والأعلى من ذلك دفع شر من أساء إليك بالإحسان إليه ما استطعت، فالإحسان يصير العدو وليا، كما قال الله سبحانه: **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {فصلت:34}.**

5- **الزوجة الناشز:**
ويجوز الهجر فوق ثلاث للزوجة الناشز إلا أن هجرها لا يكون إلا في المضجع، وليس في كل الأحوال، كما قال تعالى **(واهجروهن في المضاجع) [النساء :34]** بعد العظة والنصيحة وبالجملة فإن الهجر علاج، ولا يصار إليه إلا إذا تحقق أو غلب على الظن أن هجر المهجور أنفع – في الجملة – من وصله، فإن كان العكس لم يشرع الهجر، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

****

الخطبة العاشرة

حادثة الإفك

دروس وعبر

عناصر الخطبة:

أولا/ حادثة الإفك كما ترويها عائشة.

ثانيا/ حادثة الإفك دروس وعبر

الخطبة العاشرة

حادثة الإفك دروس وعبر

في غزوة بنى المصطلق أو غزوة المريسيع سمع النبي -صلى الله عليه وسلم - بأن قبيلة بني المصطلق تعد العدة لغزو المدينة، فما كان منه إلا أن جمع جيشه وانطلق إليهم مسرعا، وكان خروجه -صلى الله عليه وسلم - من المدينة في 2 شعبان سنة 6 هـ فباغتهم عند منطقة تعرف بماء المريسيع، وعندها انتصر المسلمون انتصارًا كبيرًا وغنموا غنائم ضخمة ، وفي طريق الرجوع حدثت حادثة الإفك.

عناصر الخطبة:

أولا/ حادثة الإفك كما ترويها عائشة.

ثانيا/ حادثة الإفك دروس وعبر

أولا/ حادثة الإفك كما ترويها عائشة.

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما هذه الحادثة كما ترويها عائشة - رضي الله عنها -قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي [7]وأنزل فيه.

حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقدي من جزع ظفار [8] قد انقطع ، فرجعت ، فالتمست عقدي ، فحبسني

---

[7] الهودج : محمل له قبة تستر به النساء ، يكون بالثياب ونحو ذلك.

[8] جزع : خرز ، وظفار مدينة باليمن.

ابتغاؤه.

وأقبل الرهط[9] الذين كانوا يرحلوني فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري [10]الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ، وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن [11] ، ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة [12]من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن[13] ، فبعثوا الجمل وساروا.
ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلي[14] ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يدها ، فركبتها.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين[15] في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين

---

[9] والرهط من ثلاثة إلى عشرة.

[10] رحلوه على بعيري : وضعوه.

[11] لم يهبلن : لم يكثر اللحم في أبدانهن ، يعني أن النساء كانت أجسامهن خفيفة ورشيقة، أي أنهن لم يكن ممتلئات.

[12] العلقة : الذي يسد الرمق

[13] حديثة السن : صغيرة ، وكان عمرها نحوا من خمسة عشر عاما.

[14] عرس من وراء الجيش:أي بقي في المؤخرة للحماية والاحتياط لأي أمر طارئ، وأدلج فأصبح عند منزلي: أي سار بظلام الليل حتى وصل في الصباح إلى مكان نزولي.

[15] وموغرين : نازلين في وقت الوغرة ، وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء

أشتكي ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول :«كيف تيكم» ؟[16] فذاك يريبني ولا أشعر بالشر.

حتى خرجت بعد ما نقهت[17] ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع -وهو متبرزنا – ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح -وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب – فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح.
فقلت لها : بئس ما قلت! أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ قالت : أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال ؟قلت : وماذا؟

فأخبرتني بقول أهل الإفك ؛ فازددت مرضا إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال : «كيف تيكم»؟
قلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فجئت أبوي ، فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث الناس؟
فقالت : يا بنية ، هوني عليك ، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها.[18]
فقلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟
فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال : يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا.

---

[16]كيف تيكم: "تك" ضمير مخاطب للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.، وهو يشير إلى الحالة أو الوضع، كيف حالكم ؟ ورأت عائشة رضي الله عنها سؤال النبي صلى الله عليه وسلم "كيف تيكم؟" نوعًا من الجفاء بسبب أنها كانت معتادة على أسلوبه الرقيق واللطيف في التعامل معها خاصة عند مرضها .

[17] نقهت : قمت من مرضي وما رجعت إلي تمام صحتي.

[18] قول أم عائشة رضي الله عنهما (ضرائر) : قيل للزوجات ذلك لأن الضرر يحصل لكل واحدة من الأخرى بالغيرة.

وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك.
قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة» ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله. [19]

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول [20]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو على المنبر - :«يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.
فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.
فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن اجتهلته الحمية – فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله.
فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ – فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت ، وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي.
فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي.

فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في

---

[19] قول بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله، فالداجن : كل حيوان يألف البيوت ، والمراد : إذا كان هذا حالها لا تمنع طعامها من الحيوان فهذا اقرب لأن تكون غافلة مؤمنة لا تخطر الفاحشة على بالها.

[20] فاستعذر من عبد الله: طلب من ينصفه منه.

شأني بشيء ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال :

(أما بعد يا عائشة ؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه)

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم!!
فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت -وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم ، وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة – لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر -والله يعلم أني بريئة – لتصدقونني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف : **{فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}.**
ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن -والله- ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ؛ والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه.

فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو يضحك – فكان أول كلمة تكلم بها أن قال **: (أبشري يا عائشة ، أما الله فقد برأك).**

فقالت لي أمي : قومي إليه. فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي ، فأنزل الله عز وجل: **{ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم)** عشر آيات ، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي.

فقال أبو بكر -وكان ينفق على مسطح ؛ لقرابته منه وفقره – : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ؛ فأنزل الله عز وجل **:{ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى } إلى قوله :{ألا تحبون أن**

يغفر الله لكم }.
فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش -زوج النبي صلى الله عليه وسلم – عن أمري :«ما علمت» ؟
فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيرا ، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك.
معنى ما ورد في القصة من ألفاظ غريبة:

ثانيا/ دروس وعبر من حادثة الإفك

وهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة، تركت وراءها العديد من الحكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها:

1- **صدق النبي صلى الله عليه وسلم:**
أظهرت هذه الحادثة صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن من عند الله، إذ لو كان القرآن من كلامه صلى الله عليه وسلم ، لكان من السهل عليه صلى الله عليه وسلم أن ينهي هذه المحنة التي آذته وآذت زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل، لأنه لا يملك ذلك.
فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن بيده أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟، ولكنه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله، قال الله تعالى: **{ ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين } (الحاقة47:44).**

وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلا كبيرا على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته في وقت واحد.

2- **ظهر في هذه الحادثة فضل عائشة رضي الله عنها:**
فقد برأها الله من الإفك بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، يتعبد المسلمون بتلاوته، قال تعالى: **{ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم } (النور: 11)**، فكم ارتفعت منزلتها رضي الله عنها بذلك، وقد كانت تقول كما روى البخاري : ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، ومن ثم

فمن اتهمها بعد ذلك بما برأها الله به، فهو مكذب لله، ومن كذب الله فقد كفر ، ويقول تعالى : **{الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم} [النور: 26]**

وحيث كان النبي صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وخيرة الأولين والآخرين ؛ تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة، واتضح بطلان ما قيل في حقها من قبل المنافقين والباطنيين من خرافات، لأن الذي برأها من فوق سبع سموات الله تعالى.

قال ابن كثير: أي ما كان ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعا ولا قدرا، ولهذا قال تعالى: {أولئك مبرءون مما يقولون} أي عما يقول أهل الإفك والعدوان.

3- **وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها:**

حتى لا يقع الإنسان في الكذب والظلم، ويكون سببا في نشر الإشاعات والفواحش، قال تعالى: **{إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم} [النور:15]**

ننظر إلى بلاغة الأداء القرآني في التعبير عن السرعة في إفشاء هذا الكلام وإذاعته دون وعي ودون تفكير، فمعلوم أن تلقي الأخبار يكون بالأذن لا بالألسنة، لكن من سرعة تناقل هذا الكلام فكأنهم يتلقونه بألسنتهم، كأن مرحلة السماع بالأذن قد ألغيت، فبمجرد أن سمعوا قالوا. فلا تقبل الإشاعات إلا بدليل ولا تنقل بين الآخرين **{وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم} [النور:15]**، **{بأفواهكم}** يعني: مجرد كلام تتناقله الأفواه، دون أن يدققوا فيه؛ لذلك قال بعدها **{ما ليس لكم به علم..}** [النور:15] وهذا الكلام ليس هينا كما تظنون، إنما هو عظيم عند الله؛ لأنه تناول عرض مؤمن، وللمؤمن حرمته، فما بالك إن كان ذلك في حق رسول الله؟ **{ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور:16].**

هذا ما كان ما يجب أن تقابلوا به هذا الخبر، أن تقولوا لا يجوز لنا ولا يليق بنا أن نتناقل مثل هذا الكلام.

فأولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور، فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذنا لكل ناعق،

بل عليه التحقق والتبين، وطلب البراهين الواقعية، والأدلة الموضوعية، والشواهد العملية، وبذلك يسد الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور، ويلوكون بألسنتهم كل قول وزور.

4- **تقديم الظن الحسن:**

قال تعالى: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) [النور:12]

يوجهنا الحق -تبارك وتعالى- إلى ما ينبغي أن يكون في مثل هذه الفتنة من ثقة المؤمنين بأنفسهم بإيمانهم، وأن يظنوا بأنفسهم خيرا وينأوا بأنفسهم عن مثل هذه الاتهامات التي لا تليق بمجتمع المؤمنين، فكان على أول أذن تسمع هذا الكلام على أول لسان ينطق به أن يرفضه؛ لأن الله تعالى ما كان ليدلس على رسوله وصفوته من خلقه، فيجعل زوجته محل شك واتهام فضلا عن رميها بهذه الجريمة البشعة.

والقرآن لا يحثهم على ظن الخير برسول الله أو زوجته، وإنما ظن الخير بأنفسهم هم؛ لأن هذه المسألة لا تليق بالمؤمنين، فما بالك بزوجة نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟

هذا وقد كان موقف الصحابة رضوان الله عليهم من قصة الإفك موقفا كريما نزيها، وقد رويت عن بعضهم كلمات في تبرئة أم المؤمنين رضي الله عنها تدل على ورعهم وقوة إيمانهم، كما تدل على نزاهة عائشة رضي الله عنها، ومقدار قيمتها في نفوس المؤمنين ، ومن هؤلاء:

- **أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:** فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها قالت: وكانت أم أيوب الأنصارية قالت لأبي أيوب: أما سمعت ما يتحدث الناس به؟، فحدثته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، وفي رواية: أن أم أيوب قالت: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟، قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله، ما كنت فاعلة، قال: فعائشة والله خير منك.

-**ومنهم سعد بن معاذ رضي الله عنه:** فعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {سبحانك هذا بهتان عظيم} قال: يعني ألا قلتم مثل ما قال سعد بن معاذ الأنصاري في أمر عائشة رضي الله عنها **{سبحانك هذا بهتان عظيم}.**

-ومنهم زينب بنت جحش رضي الله عنها: فإنها أثنت على عائشة رضي الله عنها، ولم تتهمها حين استشارها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل ما رآه

النبي صلى الله عليه وسلم من ثناء أسامة بن زيد رضي الله عنه على عائشة، وإصرار الجارية بريرة على تزكيتها، وهي من أخبر الناس بها، علاوة على تزكية زينب رضي الله عنها، هو الذي شجع النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقوم فيستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول.

5- **في محنة الإفك بين الله جل وعلا كيف يأتي بالفرج والسرور بعد الشدة والبلاء.**

لما تحيرت الصديقة وأبوها وأمها رضوان الله عليهم بماذا يجيبون، أتاهم الله عز وجل بما تقر به أعينهم من الوحي الصادق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كالغيث الذي جاء بعد القحط والشدة، كما قال الله تعالى جل وعلا: **{لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم}**، فإذا كان فيها شدة وألم، ففيها من الدروس والعبر والتربية للأمة ما يفوق هذا الشر بكثير، فكم ارتفعت عائشة رضي الله عنها حين نزل براءتها قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

ومعنى كونه خيرا لهم، أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية ، بما هو تعظيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضي الله عنها.

6- **الحذر من مسلك دعاة الفتنة ومروجي الفاحشة:**

قال تعالى :{إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النور:19].

لأن البعض يظن أن إشاعة الفاحشة فضيحة للمتهم وحده، نعم هي للمتهم، لكن قد تنتهي بحياته، وقد تنتهي ببراءته، لكن المصيبة أنها ستكون أسوة سيئة في المجتمع.

وهذا توجيه من الحق -سبحانه وتعالى- إلى قضية عامة وقاعدة يجب أن تراعى، وهي: حين تسمع خبرا يخدش الحياء أو يتناول الأعراض أو يخدش حكما من أحكام الله، فإياك أن تشيعه في الناس؛ لأن الإشاعة إيجاد أسوة سلوكية عند السامع لمن يريد أن يفعل، فيقول في نفسه: فلان فعل كذا، وفلان فعل كذا، ويتجرأ هو أيضا على مثل هذا الفعل، لذلك توعد الله تعالى من يشيع الفاحشة وينشرها ويذيعها بين الناس **{لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة..} [النور:19].**

7- **الحث على العفو والصفح عمن أساء إليك:**

ظهر ذلك في موقف أبي بكر رضي الله عنه ، الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ، فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها قال أبو بكر : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة ، فأنزل الله تعالى: **{ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم } (النور:22)**

فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

8- **الفتن والابتلاءات تظهر المنافقين:**

بعد هذه المحنة ظهر المنافقون، فالمنافقون مندسون في الصف، والمؤمنون يعرفون أعداءهم الظاهرين من أهل الكفر، لكنهم لا يعرفون المنافقين الذين يندسون في الصفوف، فتأتي المحن، وتأتي الفتن؛ لتظهر ما تكنه الصدور من نفاق، ولتظهر ما تكنه القلوب من حقد على الإسلام وأهله، فظهر النفاق.

9- **تشريع حد القذف:**

فعندما وقعت حادثة الإفك أراد الله – عز وجل – أن يشرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين ؛ ومن ثم حرم الإسلام القذف، وأوجب على من اتهم عفيفا أو عفيفة، بالزنا وهم منه براء حد القذف، وهو الجلد ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحا.

وفي ذلك صيانة وحفظ للمجتمع من أن تشيع فيه ألفاظ الفاحشة، لأن كثرة الحديث عن الفاحشة وترددها في الألسن يهون أمرها لدى سامعيها، ويجرئ ضعفاء النفوس على ارتكابها، أو رمي الناس بها، وفي ذلك تربية للمجتمع الإسلامي الأول ليكون نموذجا للمجتمعات بعد ذلك.

****

فهرس الموضوعات

المقدمة	1
الصيام في شعبان فضائل وأحكام	3
شعبان شهر يغفل عنه الناس	9
خمسة أعمال لا تتركها في شعبان	14
شعبان شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله	24
تحويل القبلة وتميز الأمة الإسلامية	34
الوسطية في الإسلام	41
سلامة الصدر قبل ليلة النصف من شعبان	56
ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟	66
من هو المشاحن الذي لا يغفر الله له ؟	76
حادثة الإفك دروس وعبر	84